

يراع الصادقين



اسم الكتاب: يراع الصادقين

اسم الكاتب: د. صادق العمران

إعداد ومراجعة: عادل حسن الحسين

نوع العمل: مجموعة قصصية

عدد الصفحات: 167

الرقم الدولي EBIN: 16-129-01-210731

الناشر: دار بسمة للنشر الإلكتروني

الطبعة الثانية: 2021م / 1442هـ



دار بسمة للنشر الإلكتروني



00212771814934



دار بسمة للنشر الإلكتروني (المغرب)



basma24design@gmail.com



المملكة المغربية

محفوظة
جميع الحقوق

دار بسمة للنشر الإلكتروني تقدم جميع خدمات النشر، ولا تتحمل أي مسؤولية تجاه المحتوى، إذ إن الكاتب وحده هو المسؤول عن نتاج فكره.. كما لا يجوز بأي صورة نشر أو إعادة طبع أي جزء من هذا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو كان، أو بأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو بالتصوير أو خلاف ذلك، إلا بموافقة خطية من الناشر. ©

يراع الصادقين

مجموعه قصيد

د. صالح العمران

إعداد ومراجعة

عادل حسن الحسين





إهداء

أهدي هذه المجموعة القصصية إلى كاتبها وملهم بنات أفكارها، إلى الأخ العزيز والصديق الحبيب الدكتور صادق بن عبد الله العمران رحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه فسيح جناته مع محمد وآله الأخيار صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

ولكم مني الورد والحب.

عادل حسن الحسين

2021/07/24م



شكر وتقدير

قيل في الأثر من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق. فلذا أشكر جميع من ساهم وشارك في إظهار هذه المجموعة القصصية في حلة جميلة.

أشكر سماحة الشيخ أحمد بن محمد البراهيم الذي عكف على قراءة المجموعة القصصية وقدم لها بتقديم رائع يليق بكاتب القصص، المرحوم الدكتور صادق العمران رحمه الله تعالى. وأشكر أيضا الصديق العزيز الدكتور علي محمد العيثان على دعمه في طباعة هذا الكتاب. فشكرا لكما على جهودكما المثمرة في هذا السفر الجليل، جعله الله في ميزان حسناتكما.



التعريف بالمجموعة القصصية

عُرف الدكتور صادق العمران طبيباً ورياضياً وناشطاً اجتماعياً. لكن القليل يعرف عنه أنه أيضاً كاتبٌ للقصة الهادفة.

وهذه المجموعة القصصية التي بين أيدينا دليل ملموس على يراعه القصصي. وقد تنوعت موضوعاتها الاجتماعية، لأن هدفه الرئيس من كتابة القصة هو تسليط الضوء على بعض الظواهر الاجتماعية في مجتمع الأحساء. وقد كتب معظمها في واحة المنتقى الاجتماعي في شبكة هجر الثقافية (www.hajrcom.com)، ثم دونها في موقعه الصادقين (www.sadekeen.com). حيث ضمت هذه المجموعة 15 قصة، وجاءت القصص في طولها، ما بين القصير والمتوسط والطويل.

ومن الملاحظ في أسلوبه القصصي، أنه يكتب بالفصحى عندما يكون الكلام صادراً عن لسان الراوي، أما الحوار الذي يدور بين شخصو القصة يكتبه باللهجة العامية.



تقديم سماحة الشيخ أحمد بن محمد البراهيم الأحسان:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. وأزكى
الصلوات وأتم التسليم على خاتم المرسلين محمد وآله الطاهرين.
القصص عند العرب جاء من المشتركات اللفظية، وهذا ما
أثبتته القرآن الكريم.

فمنها:

القصص، وقص، وقصصًا: تعني تتبع الأثر المادي على الأرض أو
الخبري بين الناس. والعرب تقول (قصصت) أثره، أي تتبعته، قال
تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾، سورة القصص: الآية 11، على
لسان أم موسى عليه السلام حيث أمرت ابنتها بتتبع أثر المهدي الذي
وضعته فيه وألقته في النيل. وقال تعالى: ﴿ فارتدا على آثارهما
قصصًا ﴾، سورة الكهف: الآية 64، في قصة موسى عليه السلام
وفتاه والحوت.

إلى غيرها من الآيات القرآنية التي فيها إشارة إلى (القصص) بمعنى (تتبع الأثر المادي الملموس على الأرض) ومنها ما هو عند العرب (في البادية أو غيرها) من قصص الأثر من خلال الخبرة والفراسة، والتي اشتهرت به في الجزيرة العربية (قبيلة بني مرة) وفردها (مري).

ومنها:

ما هو بمعنى: الإخبار والرواية والحكاية، وهذه الألوان الثلاثة ورد ذكرها في القرآن الكريم. وما يعنون بأحد هذه العناوين، يكون مستنداً على أمر واقع، لا دخل (للخيال) أو (الوهم) فيها اي تدخل. لأن ما اعتمد أو ابنتى على (الخيال أو الوهم) وصف في القرآن الكريم بـ (الأسطورة)، والأساطير مذمومة، وهي وإن كان - أو ربما- أصلها لا يخلو من واقعية، ولكن وعبر مرور الزمان عليها تحولت من حقائق إلى أساطير-وهذا حديث له مكان آخر.

المراد قوله بأن الشواهد القرآنية عن (القصص) التي هي توازي الحقائق، أو هي الحقائق التي تروى ممدوحة، بل ولها الأثر الكبير والمهم في أدوار البناء الاجتماعي الفردي.

قال الله تعالى: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾، سورة يوسف: الآية 3. وقال تعالى: ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي﴾، سورة الأنعام: الآية 130. وقال تعالى: ﴿تلك القرى نقص عليك من أنبائها﴾، سورة الأعراف: الآية 101.

وإن لم يكن القرآن الكريم كتاب قصص وحكايات- كما يروج بعض أذئاب المستشرقين- وإنما جاءت القصة ووظفت في معرض العظة وأخذ العبرة، بل جعلت القصص صورة من موارد التفكير في مصير الأمم التي لم تطع رسلها وتستمع للمنذر. قال الله تعالى: ﴿ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾، سورة الأعراف: الآية 176.

فالقصة في القرآن الكريم، لم تكن أبدًا للتسلية، أو ملء فراغ في حياة المجتمع، أو لتخديره واجترار الماضي. فعلى العكس من كل ذلك، فإن القصة في القرآن إنما جاءت للموعظة والتحذير مما وقعت فيه الأمم السابقة.

قصص الأنبياء، قصص الجبابرة والطغاة، قصص الأمم
كيف ارتفعت، وكيف انزلت، حتى قصص الحيوانات المذكورة في
القرآن الكريم جاءت لهدف معين ونتيجة محددة.

وما يجب التأكيد عليه هو أن هناك فرقاً بين أن يكون
الكتاب (القرآن الكريم أو غيره من الكتب السماوية التي في أيدي
أتباع الشرائع السماوية الأخرى)، هو كتاب وضع أساساً لأن يكون
كتاباً قصصياً، وال محور الأساس فيه هي القصة. وبين أن يكون
الكتاب، كتاب (عقيدة وشريعة ونظام) وللقصة حضور بمقدار معين
وبهدف إيصال حكم أو تشريع إلى المتلقي. ولم تكن القصة في هذا
الكتاب للتسلية، أو من أجل تعاطي لون من الألوان الأدبية
المتداولة في عصره.

مما لا شك فيه أن القصة أو الأسلوب القصصي مهم، وله
دوره الكبير في إيصال المراد إلى المتلقي من خلال هذا الأسلوب
الخطابي في قالب قصصي وكدليل على أهمية القصة، سميت سورة
قرآنية (القصص) تقع في (ثمان وثمانون آية).

وفي المقابل وكدليل أيضا، على أن القرآن الكريم-على الخصوص- لم يكن كتابًا قصصيًا، أنه لم يكتمل موضوع قصة، أو بالأدق لم يكتمل قصة في القرآن الكريم إلا قصة يوسف عليه السلام. وإن كان (حتى قصة يوسف) لا يجوز اصطباغها بلون الأدب القصصي-المتعارف عليه في تاريخ الأدب القصصي- بل هي شواهد على قدرة وإرادة الله تعالى، وإلا فإن القصة لم تذكر بشكل تفصيلي- كما هو حال القصة- وإنما ما ذكر من قصة يوسف عليه السلام هي الخلاصة، وربما ما جعل البعض يقطع بأنها مكتملة ذكرت في القرآن الكريم، وهو تخصيص سورة باسم يوسف عليه السلام وذكر تلك الخلاصة في آياتها.

كذلك لا يخفى أهمية تسمية سورة خاصة باسم (السيدة مريم)، لأن ذلك كان له دوره الفاعل والمؤثر في تقريب كثير من (النصارى) إلى روح الدين الإسلامي، بعد تأكيد براءتها مما رماها به اليهود، وكل ذلك يرجع إلى ما للقصة من دور كشف الحقائق، ومعالجة القضايا التاريخية والاجتماعية.

وهذا اللون من الأدب (القصصي) عرف عند العرب. ولا يزال معروفاً حتى الآن، وكان لديهم مدونات معروفة بـ (أيام العرب) تعنى بالحروب والوقائع، كذلك اهتموا بتدوين قصص وحكايات شخصيات مشهورة أو مؤثرة في الواقع العربي حينذاك. وكذلك الحال عند أمم غير عربية، ولعلها سابقة لها مثل (الفرس) و (الهنود) و (اليونان).

وبعد نزول القرآن الكريم، دهش العرب من الأسلوب الإعجازي الذي تناول فيه القصة.

الطريقة مختلفة، والمؤدى واحد. بل إن الأسلوب القرآني في ذكر الأحداث في ذلك الإيقاع الموسيقي والبلاغي، جعل العربي المعجب جداً بلغته، يقر بالإعجاز القرآني، بل ويقر بالعجز أمام التحدي الذي طرحه القرآن الكريم عليهم.

وهذا الأسلوب لطرح الموضوع (القصة) هو الذي جعل (النجاشي) ملك (الحبشة) يبكي لما سمع من وفد المسلمين قصة مظلومية مريم عليها السلام وبالتالي نصرهم وحماهم.

القصة القصيرة:

هذا اللون من التدوين (أو الأدب) لم يكن وليدًا لهذا الزمان، وإن كانت تسميته بهذا من مبتكرات العصر الحديث.

والقصة القصيرة، هي تعمد الكاتب في تركيز كتابته (تدوينه) ولفت أنظار القراء إلى جزئية صغيرة مستتلة من حياة مترابطة بأحداثها وشخصاتها، وإبراز حركة بعينها من مجموع الحركات الكثيرة. ويكون هدفه لفت الأنظار إلى هذه البقعة التي ربما تكون مؤثرة أكثر من غيرها في لوحة حياة هذه الشريحة الاجتماعية التي يعرض جانب من جوانب حياتها.

بالطبع إن القصة القصيرة-وكما هو اسمها- لا يمكن أن تعطي صورة كاملة ومعبرة عما تشكله الحياة لهذه الشريحة الاجتماعية، بخلاف ما تعطيه وترسمه القصة الطويلة، أو الأطول، أو المطولة، التي ربما تقع في عشرات المجلدات، وتتناوب أجيال في تدوينها.

قلت سابقاً (بأن القصة القصيرة ليست وليدة هذا الزمان) وكنت أقصد بأن العرب كانوا قد أسسوا لفن غاية في البلاغة وهو: فن (الأمثال) التي هي لون من ألوان القصص القصيرة، لأن في كل مثال مع ما له من إيصال فكرة معينة ومحددة، فهو (المثال) عنوان لحدث وقع هنا أو هناك. وأصبح هذا الحدث حكاية وقصة تروى هنا وهناك. ولأن المثل في الغالب يكون شبه موزون بالأوزان الشعرية، أو تحكمه طريقة (السجع). فهو لذلك يكون أقرب إلى الحفظ نصاً أسهل من حفظ قصته والتي تكون معرضة للزيادات والإضافات الذوقية أو الزمانية التي يملئها (الزمان والمكان).

القصة القصيرة الهادفة في هذا العصر أصبحت لون من الألوان الأدبية التي طغت على ما يقرأه-شريحة الشباب على وجه الأخص- لأن الوتيرة المتسارعة التي تصطبغ بها حياتهم تتطلب أسلوباً خطابياً موجزاً وسريعاً، والقصة القصيرة تلي هذه الحاجة.

فالقصة القصيرة، ذات الهدف والأسلوب المتوازن في الصياغة والحبكة ووضوح النتيجة. وليس الكتابة من أجل الكتابة،

وليس من أجل مجرد الحضور بأي لون من الحضور، لا لون ولا رائحة.

القصة القصيرة التي ومع كونها تختزل الواقع في كلمات قليلة وتلخص الحياة الطويلة، إلا أنها -مع ذلك- يكون لها نوع من بقاء في ذاكرة قارئها، ويكون لها أثر فاعل في حياته.

اليراع:

اليراع اسم من أسماء القلم، خصوصًا المتخذ من (القصب).

والقلم له من الأهمية ما له، في حياة الأمم، في مسيرتها ورفيها واستمرار وجودها. والله تعالى أقسم بالقلم وبما يكتبه هذا القلم، ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾، سورة القلم: الآية 1. فالقلم لوحده ليس هو المقصود. بل لا قيمة له ما دام قابع في صمته. فلا تكون له أهمية إلا بعد ما يُسطر ويكتب وينقل التراث الإنساني (فكر، أدب، تاريخ) وغيرها، من جيل إلى جيل.

كم من الأمم التي سادت قرونًا طويلة، وبعد صولاتها وجولاتها ماتت وبادت، ولم يبقَ لها من وجود بعد الفناء إلا بمقدار ما

كانت تملكه من أقلام. فالقلم له الفضل في بقاء الأمم واستمرار وجودها، وذلك من خلال ما كتبه القلم.

يراع الصادقين:

هذه المجموعة القصصية (15 قصة) والتي دونها ابن الخال المرحوم الدكتور صادق أبو أحمد (رحمه الله وأسكنه الفسيح من جناته)، هي وإن كانت تتلون بلون القصة (قصيرة ومتوسطة) إلا أنها -وكما رأيت من خلال قراءتي لها- تفاعلات وجدانية مع محيطه القريب والأقرب، وهو (رحمه الله) سجلها منفعلًا بها، ومتفاعلاً مع أطرافها.

الإنصاف -للدكتور الراحل- يقتضي أن نقول بأنه -رحمه الله- لم يكن قد تفرغ لكتابة القصة، أو القصة القصيرة بالخصوص، وإنما هو كان في بداية طريق احتراف كتابة القصة القصيرة مثلاً.

وإننا وإن لم يكن في مقدورنا الحكم على النهاية التي كان من الممكن أن يصل إليها لو مد الله في عمره، وما هو مدى نجاحه

- أو فشله- الذي كان سيصل إليه في كتابة القصة، لأن هذه المجموعة -اليتيمة- لا تتعدى كونها تجربة أولى له في كتابة القصة.

ولأنه لم يصل إلى مرحلة الاحتراف بمعناه المعروف اليوم، لهذا لم نراه محتاجًا إلى كثير من أدوات كتابة القصة -في أي لون من ألوانها- مثل الخيال الذي تعتمد عليه خلق الأحداث وابتكارها، بل إن كل ما قام به -تغيير الأسماء- هو تدوين لواقع معاش، خصوصًا وأنه -رحمه الله- مطبوع بطابع الإصلاح الاجتماعي والأسري، ولهذا يطفح على قصصه الحدث الاجتماعي والأسري.

يُرى في -مجموعته القصصية- أن المحور الرئيس هو - الأسرة- مما يعطي انطباعًا -لدى القارئ- بأنها استجابات إنسانية لمعاناة أناس يعيشون في محيطه، ويعيشهم في يومياته. ومن هنا كان يتقدم من الدكتور صادق الطيب -رحمه الله- الجانب الإنساني، بل كان الإنسان يطفى على الدكتور في داخله، بالشكل الذي استحق معه وصف (الطبيب الإنسان).

مثلما كان يتعامل مع مرضاه في (المشفى) بالإنسانية الرحيمة والتفاعلية، كان يتعامل مع تلامذته المتدربين من طلاب

الطب، ويتعامل مع المحاورين والمشاركين معه في موقع (هجر) الإلكتروني.

في إحدى الجلسات قال لي: أن المتحاورين وخصوصاً - المتحاورات- كانوا يلقبونه بـ (جدو) أو (بابا جدو) لما استشعروه فيه من حنان ومن تعايشه الفعلي والانفعالي مع ما يطرحونه عليه من قضاياهم ومشاكلهم الفردية والأسرية.

أنا وإن كنت قرأت محيط (الدكتور صادق) في مجموعته القصصية -القسم الأول- مثل (لا سكينه يا سكينه)، (مبارك يا صبرية)، (رضا الله من رضا العبد)، (هذا رزقك يا عبيد) إلى الآخر.

فلقد قرأته هو -أي الدكتور- في القسم الثاني من المجموعة (يوميات الطبيب النسائي) ففي هذه القصص -في نظري- تجلّى الدكتور القاص أكثر منه في القسم الأول.

لأنه إن كان في (القسم الأول) قد تلمص شخصية الحكواتي، فهو في (القسم الثاني) قد سكب نفسه على الورق بيراع أقرب إلى (الهزل) الذي ذكرني بأدباء كبار أمثال (محمود السعدني).

وعلى كل الأحوال تبقى هذه الـ (15 قصة) أثر للدكتور أبو أحمد (رحمه الله)، نقرأ من خلالها واقعًا عايشه، أو نعيشه واقعًا حيًا من خلال ما كتبه.

السيد عادل الحسين:

جامع ومقدم هذه المجموعة القصصية. وهو أحد مكونات (الأركسترا) التي كان الدكتور صادق (رحمه الله) أحد أفرادها، والتي كان يعزف بها ولها وفيها، جولاته وتحركاته، حيث أن هذه المجموعة -الطيبة- كانت تشكل كتلة متماسكة ليس فقط على مستوى الرجال، بل إن العلاقات الأسرية بين عائلاتهم بدت قوية جدًا ومترابطة إلى حدٍ كبير تجلّى في أيام رحيل الدكتور صادق (رحمه الله).

والعلاقة بين الرجال كانت ترجع إلى سنوات الصبا والشباب، إلى أيام المراحل الدراسية المبكرة قبل الجامعة ودوائر العمل.

فالسيد -مضافاً إلى وفاء الأصدقاء- فهو الأديب
والباحث والكاتب، الذي سخر هذه الإمكانيات، وستر آيات
الوفاء والمحبة لفقيد المجموعة التي -لا شك- أن غيابها من بينها
شكل ألماً وصدمة كبيرة لها.

وهذا العمل -الذي لا يقوم به إلا القليل من أوفياء
الأخلاء- وهو الرابع وليس الأخير، حيث سبقه بأعمال ثلاثة وهي:
(الطبيب الإنسان) و (طبيب الواحة) و (التدريب الطبي)، وجميعها
تدور في فلك الدكتور صادق (رحمه الله) والكم الإنساني الذي كان
يتجلى على شخصيته العملية والتخصصية.

(يراع الصادقين) هذه المجموعة القصصية التي ما كان لها أن
تبرز من صفحات افتراضية -على الشبكة العنكبوتية- إلى
صفحات واقعية، إلا بمجهود هذا السيد النبيل، صاحب الهمة
وحامل لواء الوفاء لفقيد الراحل (رحمه الله).

أسأل الله العليّ القدير، أن يثيب السيد الحسين على هذه
الجهود المشكورة، وأن يجعلها في ميزان حسناته.

وأن يجمعنا معه والراحل العزيز— تحت لواء محمد وآل محمد
يوم نرجو رحمته الواسعة.

ضحى يوم الثلاثاء السابع من ربيع الأول سنة 1441

هجريّة

الأحساء دار الغربتين

أحمد بن محمد البراهيم الأحسائي



لا سكينه يا سكينه

عندما توفي والد سكينه كان عمرها 16 سنة وهي أكبر أخواتها من أسرة تتكون من أم وثلاث أخوات وأخ صغير يبلغ الثانية من عمره.
- يمه أنا بترك الدراسة وأعمل معك.

- بنيتي خليك عن عوار الراس الآن وأنت توك صغيرة. خلصي
دراستك وبعدها اشتغلي وساعدي خواتك وأخوك.

- بس، يمه أنت شايفة الحين، الوظائف تارسة البلد. هذا هم بلا
شغل ولا عمل هالبنات.

- طيب خذي الثانوية الحين ما دامي بصحتي، ويمكن شهادتك هذه
تنفعنا أكثر.

- لكن على شرط، إني أساعدك في الشغل.

- ما عليه، بس باللي تقدرين عليه، ولا يؤثر على دراستك.

وهكذا كان، بدأت سكينة في مساعدة والدتها في الخياطة المنزلية والتي شجعها الجيران عليها فأضحت أم سكينة خياطة بارعة يقصدها كثير من جيرانها ومن نساء الحارات القريبة.

استطاعت سكينة وبمجهود خارق من الأم وعمل منزلي مضني أن تنهي دراستها الثانوية. وفي يوم معرفة النتائج، جاءت سكينة فرحة جداً بما حققته. وبات لها حلم الجامعة وإمكانية الالتحاق بإحدى الكليات الرصينة وتحقيق طموحاتها المغيبة، يتراءى في ناظرها. وعندما وصلت إلى البيت انطلقت نحو والدتها محتضنة إياها.

- يمه، يمه. تراني نجحت وجبت 98%.

- مبروك يا بنتي، يا حبيبتي.

وانهمرت دموع الوالدة فرحاً بما حققتها ابنتها البكر. وعندما حاولت الزغردة (البياب) لم تستطع، فذكرى المرحوم الزوج الحبيب خنقت عبرتها وأخفت صوتها وهي تبكي وتبكي. واستمر المشهد المبكي المفرح بين سكينة وأمها حتى شعرا أن الأخوات فرحات بما حصل.

جلس الجميع يسترجعون أنفاسهن وهن فرحات بالإنجاز، حتى تغير
لون سكينه فجأة!

- خير يا بنتي شفيك؟

- لا ما فيني شيء.

- أنا أدري شفيك. أنت تبين تروحين الجامعة، بس!

- أبدا يم، ما أبي. بس، كنت أتساءل مع نفسي: ليش يصير فينا
جذي؟ ليش إحنا؟

- هذا قدر الله علينا يا بنتي، وإذا على الجامعة، سجلي فيها،
ويقولون: إنهم يعطون مكافأة، وهذي بتساعذك وتساعدنا.
يم، مصاريف الجامعة كثيرة. والجامعة ما هي عند بيتنا مثل الثانوية
عشان أروحه مشي. غير اللي أسمع من البنات عن طلبات الدكتوراة.
أنت شفقي الثانوية وكيف نتعب عشان نوفر طلباتهم.

- ما عليك أنت قدمي والله يجلها.

تنازع سكيّنة، بين الرغبة في تحقيق حلمها بأن تكون طالبة جامعية، لكي تتخرج وتنخرط في سلك العمل الجاد المجدي مادياً لترفع من مستوى عائلتها، وبين الرغبة في عدم تحميل والدتها أعباء إضافية وتضييق في المعيشة. إلا أن تشجيع والدتها لها كثيراً جعلها توافق على أن تقدم أوراقها للجامعة. وهكذا كان.

أما أم سكيّنة فقد أتعبها التفكير في حال ابنتها وحال بيتها وعندما تنوي الخلود للراحة والنوم يمر عليها شريط عملها وصعوبات الحياة ورغبة ابنتها في الدراسة وكيفية توفير مصروفات سكيّنة والبيت. إلا أن عزيمتها القوية التي دعته تتحمل مسؤولية عيالها في ظل غياب مساعدة أهل زوجها لها. والذين يعانون من ضيق اليد مثلهم. هذه العزيمة جعلتها تتخذ قرارا بالذهاب إلى الجمعية الخيرية لشرح ظروفها، لعلها تجد العون.

في الجمعية عرضت مشكلتها على الأخصائي الاجتماعي وبعد دراسة لحالتهم الاجتماعية والمادية اقترحوا عليها الانخراط في برنامج الأسر المنتجة والذي تشرف عليه الجمعية. وهو برنامج يختص بتجهيز الحفلات الغذائية المنزلية أو الاجتماعية وتشترك فيه عدة

نساء بالطبخ المنزلي ويرسل إلى الجمعية التي تتعاقد مع من يتقدم بطلب تحضير مثل تلك الوجبات.

في هذه الأثناء تم قبول سكيينة في كلية العلوم الزراعية والأغذية (قسم الاقتصاد المنزلي) فقط، على الرغم من مجموعها العالي وهذا ما حطم أحلامها إلا أن أملها في تحسين وضع أهلها لم يثنها من القبول بالالتحاق بالكلية. وهكذا كانت سكيينة تحضر نفسها للالتحاق بالجامعة وأم سكيينة انخرطت في العمل الجديد وانشغلت بتحضير الوجبات الخفيفة كالمعجنات وورق العنب الملفوف المطلوبة من خلال برنامج الأسر المنتجة.

لم تستطع الأم توفير متطلبات الكلية ومع بداية الشهر الثاني من الدراسة قررت سكيينة البحث عن عمل.

- يمه شفيك ما رحتي الكلية اليوم؟

- خلاص ماني رايحة، ما أبي أكمل دراسة.

- ليش يا حبيبي؟ هذا

- يمه أرجوك، أنا شايقة كل شيء، مستحيل، مستحيل أكمل.

وانهمرت دموع سكينه في حزن أمها، والتي تعلم بل متيقنة أن قرار سكينه هو الأفضل، إلا أنها حاولت كل جهدها لتحقيق أمنية ابنتها فلم تستطع. فالدخل المالي من هذه الأعمال لا تفي بمتطلبات الأسرة في زمن الغلاء.

انخرطت سكينه في البحث عن عمل ومساعدة أمها في الخياطة. أما برنامج الأسر المنتجة فقد تعطل كثيراً لعدم إقبال الناس على شراء تلك المنتجات، ولكثرة المشتريات من النساء في هذا البرنامج. فأضحى الدخل منه قليلاً جداً ومتقطع كثيراً. واستمر هذا الوضع حتى وجدت ضالتها في الالتحاق بعمل إضافي في أستوديو ومشغل نسائي كبير بعد ما حضرت دورة تصوير عند إحدى المهتمات بهذا الفن وباشترك رمزي.

وبدأت سكينه مشوار العمل المتعب كموظفة لتصوير العرائس والفتيات في أستوديو أو في الحفلات وهذا ما يوفر لها 1200 ريال شهرياً. العمل يبدأ من الثامنة صباحاً وينتهي عند الخامسة عصراً وفي الحفلات والمواسم يمتد العمل إلى ما بعد منتصف الليل. مع

زيادة بسيطة في الراتب في المواسم إلى 1500 ريال شهرياً. استمرت سكينة في هذا العمل المتعب لمدة سنتين والراتب لا يكفي متطلبات أسرتها. فأخوتها يكبرون وطلباتهم تزيد ووالدها أصبحت أكثر وهن من ذي قبل والخياطة المنزلية لم تعد كالسابق. - سكينة، يا سكينة.

- نعم، يا مدام.

- اليوم آخر يوم لك بالعمل.

- ليش يا أم رائد؟

- وتساين ليش.

- إيه، ليش فجأة هذا آخر يوم لي؟

- عشان اللي سويتيه.

- وشنو سويت غلط؟

- أنت تظنين أنني ما أدري أنك صورتِ حفلتين عرس لحسابك الخاص وما خبرتيني عنهم.

- بس هذول يا أم رائد شغل إضافي، وهم ما بيون كل اللي نسويه بالاستوديو وما يقدرن على تسعيرة الاستوديو. وأنا رحتم لهم مو في وقت دوامي. وإذا ما صورت لهم أنا بيصور لهم غيري. وأنت تدرين أنني محتاجة وأنا أصرف على أهلي، والراتب هذا هو ما تغير من أول يوم اشتغلت وياكم.

- أنا ما أبي بربرة. شيلي قشك وبره.

- وحقوقتي؟

ها ها، حقوق! أنت ما لك شيء. بره، بررررره.

وهكذا فقدت سكينه وظيفتها. وبدأت تلمم حاجياتها وهي تبكي وزميلاتها يناظرنها مشفقات عليها. وكلهن يتساءلن مع نفسهن ومع زميلاتهن، هل هذا هو المصير؟ أين حقوق العاملة في المشاغل والاستوديوهات؟ لا ضمان عملي، لا ضمان صحي! لا ولا ولا!



مبارك يا صبريه

عاش عبد الله حياة مذلة بعدما كان يعيش في مجبوحة من العيش وذلك بعدما خسر في تجارته واضطر لبيع النخل (المزرعة) التي يملكها وهي تتجاوز العشرة آلاف متر مربع وبثمن بخس لا يتجاوز النصف مليون ريال. حصل منها على نصف المبلغ لتسديد ديون متفرقة بينما النصف الآخر احتفظ به الحاج مبارك مع الأرض كتسديد للدين الذي له عند عبد الله.

وبهذه الطريقة استطاع الحاج مبارك البالغ خمسة وخمسون سنة امتلاك كثيرٍ من الأراضي والعقار في قريته قبل أن يتركها ويسكن في المدينة.

أنجب الحاج مبارك أربعة من الذكور واثنتين من الإناث وحظي الأولاد بنصيب لا بأس به من التعليم مقارنة بأبناء القرية واستطاع أن يبيي شركة عملاقة متعددة الأغراض والفروع أدارها بنفسه

وبمساعدة أبنائه. أما الإناث فزوجهن من أبناء عمومتهن الذين يعملون في مصنع الطابوق الخاص به ويشرفون عليه بشكل مباشر.

بعدها تزوج جميع أبنائه ولفقده زوجته قبل 5 سنوات وبعد العناء الكبير والعمل المتواصل لتنمية موارد مجموعته التجارية قرّر أن يلتفت لنفسه كما يفعل بعض متقدمي السن ويتزوج من جديد. وهكذا أراد، فعاد إلى قريته وتزوج من إحدى بناتها الجميلات التي كانت تسكن مع والدتها في منزل متواضع جدًا.

صبريه كانت تعيش مع والدتها المريضة في بيت عربي قديم وتعمل كخياطة لبنات القرية. لأم مريضة، أرادت تزويج ابنتها كي تطمئن على مستقبلها قبل أن يتوفاها الله.

أسكن مبارك صبريه في مزرعته الكبيرة التي تحتوي على فيلا على أجمل طراز وهي بمثابة منتجع بناه لنفسه وعياله قبل عشر سنوات. لكنه رفض انتقال أمها المريضة لتسكن معها. والتي توفت بعد عدة أشهر بعد الزواج وبعدها اطمأنت كما يبدو على مستقبل ابنتها. الفتاة الشابة صبريه استطاعت أن تستولي على قلب مبارك وعقله

بطيبتها وحنيتها وحبها وخدمتها له بمنتهى الإخلاص وبالروح القروية التي نسيها مبارك مع عجلة الزمن.

وفي خلال سنتين أصبح مبارك لا يفارق القرية إلا نادرا، وترك إدارة مجموعته لأبنائه بالكامل. وبعدهما استولت صبريه على قلبه وعقله استطاعت اقتناعه بمساعدة بعض الناس في القرية وخاصة من تضرر منه سابقا لانتهازيته.

تمكن أولاد مبارك الذين قبلوا هذا الزواج على مضض من تحويل كثير من الأموال والعقار لحسابهم الخاص بعيدا عن حساب المجموعة.

أولاد مبارك وعلى الرغم من استيلائهم على ثروة أبيهم وتقاسمها وهو حي إلا أن خوفهم من أن تنجب صبريه لهم أخا أو أختا، أزعجهم كثيرا فقرروا الاستيلاء على ما تبقى من عقار ومزارع كانت لاتزال باسم والدهم. وكيف يتم ذلك. لجؤوا وبفعل معارفهم الواسعة وعلاقاتهم المتشعبة إلى القضاء ليرفعوا عليه قضية حجر.

- إما أن تطلق صبريه أو سنستمر في إجراءات الحجر، وأنت تعرف النتيجة مسبقاً.

- من صدق أنكم ما عندكم حيا يا عيال (##). أنا اللي سويتكم وكبرتكم وهذا جزاي. أحد يسوي في أبوه هذه السواة؟
- لا تتبربر كثير! أنت أبونا على العين والراس متى ما طلقت صبريه.
ويتكون قدام الناس أعقلهم وتاج راسنا. أما إذا أبقيت عليها فما لك إلا أن تكون ناقص عقل وتسكن معها في عشة.

قرر مبارك أن ينحني للعاصفة ويطلق صبريه وينهي القضية ثم يقوم باستردادها لكنه لم يخبر صبريه عن خطته هذه. هكذا صار!

فعادت صبريه محتسبة لبيتها القديم والذي لا يعدو أن يكون بمثابة غرفة وحمام ومطبخ صغير مبني على الطريقة القديمة، تنقصه كثير من مستلزمات البيوت العصرية.

وبسبب حبها لأهل قريتها التف حولها أهل القرية وعملوا على مساعدتها. فقررت العودة إلى عملها السابق كخياطة منزلية ومن خلال هذا العمل استطاعت أن تعيش بشكل مرضٍ.

أولاد مبارك لم ينفذوا وعدهم فبعد طلاق أبيهم لصبريه استكملوا إجراءات الحجر وقبل أن يحصلوا عليه استطاعوا بحيلتهم أن يستولوا على جميع الثروة خلال شهر واحد. وهنا وقع مبارك مريضاً، أدخل على إثر ذلك المستشفى وبقي فيه ثلاث سنوات نتيجة للشلل النصفي الذي أصابه بعد الجلطة الدماغية التي أصابته في حينها.

تقدم لصبريه بعض شباب القرية وبعض كهولها، لكنها رفضت الزواج وقررت أن تعيش من أجل ابنها جابر الذي لم تكن تعلم أنها حامل به عند طلاقها من مبارك. ولم تستطع أن تذهب به لوالده المريض بالمستشفى أو أن تخبر إخوته عنه لخوفها عليه. فقررت أن تربيته بعيداً عن عائلته.

تحسن حال مبارك قليلاً فقرر أطباء المستشفى أن يخرجوه، لكن إلى أين؟

لم يقبل به أولاده ولا زوجاتهم بل ولا البنات وأزواجهن فعاد لقريته التي لا يملك فيها شيئاً ولم يجد من يقوم برعايته فعمد للذهاب لمنزل صبريه. فهو - كما يتذكر وأثناء سعادته الغامرة بها - كتب لها مزرعة في قرية بعيدة باسمها دون أن تعلم. فقال مع نفسه: لماذا لا

أذهب لصبريه لعلها علمت بأمر المزرعة التي تركتها لها فتقوم برد
الجميل وترعاني بقية حياتي. لكنها في الواقع لم تكن تعلم بخبر هذه
المزرعة إطلاقاً.

طرق الباب.

- من في الباب؟

وبصوت متلعثم وغير مفهوم نتيجة الشلل قال:

- أنا مبارك يا صبريه.

فتحت الباب فتحة صغيرة لتتأكد فوجدت مبارك آخر غير الذي
تعرفه واقفاً على الباب متكئاً على الحائط وهو في حال لا يسر عدو
ولا حبيب.

- تفضل. حياك الله.

دخل مبارك ذلك المنزل مجددًا بعدما دخله مرة واحدة من قبل.
مبارك يحتاج لعناية خاصة ومن الصعب أن يعيش لوحده. وبعد
مشورة مع أعيان البلد قررت صبريه أن تقوم برعايته والسهر عليه

ففاتحته بأن يعقد عليها من جديد كي يعيش معها كمحرم. وخاصة أنه والد جابر.

بكى مبارك بكاءً شديداً من الموقف وحاول كل جهده أن يكتب مشاعره وهو يضم ابنه جابر لصدره. وهو يتمتم ويقول: جزاك الله خيراً يا بنت الأجاويد.



رضا الله من رضا العبد

هي تحتفل، وأنا عندي استعداد، والضحية؟ أم مريم تبحث عن يوصلها إلى المستشفى بسرعة. فلا تجد غير ابن الجيران الذي أخذ مريم بين ذراعيه وهي تصرخ من شدة الألم ففمها محروق وتخرج كثيراً من اللعاب المختلط بالدم.

في ممر المستشفى تجلس على الأرض باكية حزينة على ما ألمّ بابنتها. بعدما سمعت من الطبيب قوله:

- مريم تحتاج لعمل منظار ومن ثم ستحتاج لفترة طويلة من العلاج فالقم لم يحترق لوحده بل إن المريء غالباً احترق جراء ما شربته من الفلاش. وهذا يدعوني لتبليغ الشرطة ولجنة حماية الطفل.

أم مريم فقط تبكي، وتصرخ وتلطم.

في غرفة الاجتماعات، الأطباء يناقشون الحالة.

- دكتور محمد، أنت شريك فيما حدث لمريم فقد حدث الأمر نفسه قبل أسبوع لأخيها عليّ ولم تبلغ لجنة حماية الطفل عن الحالة بل حولته فقط للمختصين لعلاجه وتناسيت سبب حدوث فقدانه خصيتيه جراء حرقه بالماء المغلي.

- لكنهم قالوا إنه وقع في الماء الساخن مما تسبب في سلخ جلده ووقع خصيتيه.

- لكن من الواضح أنه أجلس بالقوة وبقي لفترة طويلة في الماء كي يحدث له ما حدث. فلا يمكن لطفل في السنتين من العمر لا يقفز جراء الماء المغلي.

- هل تقصد أنه؟

- نعم فحالة هذا المنزل تحتاج لدراسة اجتماعية متأنية لمعرفة ما يحصل في البيت.

فتم تكوين فريق لدراسة الحالة من قبل الأطباء والأخصائيات الاجتماعيات.

في المنزل، أم مريم تصرخ على أم علي:

- لماذا فعلت هذا بمريم. أأست أعامل ابنك علي كما أعامل مريم؟

- العين بالعين والسن بالسن والبادئ أظلم.

- ماذا تقولين ألا زلت تتهميني أني السبب فيما حدث لعللي.

- ومن غيرك فعلها فقد تركته عندك لأنني مشغولة لتحضير الاحتفال

بالمولد في الأسبوع الماضي ولم أعد إلا وقد حدث له ما حدث. لا

تقولي إنه سقط في الماء المغلي. هذا أمر لا أصدقه.

- لكن الشغالة كانت معه في حينه، والله لم أكن بقربه.

- هي قالت إنك طلبت منها أن تغمسه في الماء المغلي.

- الكاذبة! إذن هي سبب ما حصل لابنتي بسبب كذبتها، سأقتلها.

- ولماذا تكذب؟

- إنها تريد أن تفتن بيننا ونجحت، والسبب أنت يا أم علي فقد

كنت دوما تهينها وتضربينها فانتقمت من عيالنا.

في المستشفى، يقرأ رئيس فريق حماية الطفل ما توصل إليه الفريق عن سبب ما حدث للأطفال.

- بالتعاون مع الشرطة ودراسة الحالة الاجتماعية لهذه العائلة فقد توصلنا إلى الآتي: إن العائلة المكونة من زوجتين الأولى أم علي وهي ناشطة اجتماعية كثيرة المشاغل ولا تهتم بالبيت أو زوجها. فهي ترى أن عملها الاجتماعي فيه رضا الرب أكثر من التفاتها لزوجها وبيتها. وتركت أمور البيت وتربية الأطفال على كاهل أم مريم والشغالة وكانت كثيراً ما توجه الإهانات للشغالة التي فاض بها الحال وقررت الانتقام من الجميع.

فبدأت بالانتقام من أم علي وابنها فتسببت بحرقه بالماء المغلي ثم أوعزت لأم علي أن أم مريم هي السبب وعرضت عليها مساعدتها في الأمر وقررتا سقي مريم الفلاش. وهي بهذه الطريقة كانت تظن أن البيت سيبقى لها لوحدها فهي لها حق في المنزل ولها حق في أن يتم التعامل معها كزوجة سعيد الثالثة وليست كشغالة كما أراد سعيد لها أن تكون.

هذا رزقك يا عبيد

- إلى متى يا وليدي يا عبيد ما تعرس وتفرحني فيك؟
- إيه يا يمه. تبيني أعرس وأنا مو لاقى شغل عدل مثل الناس اشتغله. يوم اشتغل وعشرة مقابلك.
- الأرزاق بيد الله يا وليدي. بس، أنت تعرف أني كبرت، وأبي أشوف عيالك قبل.
- لكِ طولة العمر يا يمه.
- اسمعني يمه، أنت ولدي الوحيد وأبوك الله يرحمه ما ترك لي شيء غيرك وأبيك تترس البيت عيال تونسني بهم وتحفظ اسم أبوك فيهم.
- الله كريم يا يمه. ادعي لي عسى الله يوفقني.

- روح يا ابن بطني، عسى الله يوفقك ويعطيك على قد نيتك ويرزقك من عنده، قول آمين.

- إيه! أنا اللي جبتة لروحي. الحين قاعد أقول: شغل وشغل. وبيني كنت في أيام الدراسة؟ لعب وطلعات. وبالكد حصلت على الثانوية بعد جهد جهيد. وكل هذا طلع علي الحين. لا شغل مثل الناس ولا حياة كريمة ولا عرس. إلا العرس من وين العرس يا يمه. ومنو اللي بتقبل فيني وأنا بمالحال؟

هكذا كانت الأفكار تراود عبيد بين فترة وأخرى كلما تكرر هذا السيناريو والحوار مع والدته الطاعنة في السن.

مضت ستة أشهر وعبيد يعمل في محل لبيع الملابس النسائية والأقمشة بأجر زهيد لا يتجاوز 1200 ريال شهرياً.

هنا تعرف عبيد على مجتمع جديد لم يعهده من قبل فهذا هو يقابل يومياً كثيراً من الفتيات والنسوة من مختلف الطبقات والعوائل.

أصبحت حياته لهواً في لهو، وما يحصل عليه من مال يبعثه على بعض الفتيات اللواعب. إلا أنه يحصل بالمقابل على بعض المال من

مصادر أخرى. هكذا نسي ربه ونسي أمه ووصيتها له بالزواج لتحقيق الأمنية التي طالما انتظرها. لكن حياة عبيد الجديدة سرقتها بالكامل.

ومن خلال عمله، تعرف على شهلة، المتوسطة الجمال، البالغة الثانية والعشرين من العمر. والتي أضحت تتردد كثيراً على المحل، فزيارة لشراء قطعة قماش، وزيارات لتتجاذب أطراف الحديث مع عبيد.

شهلة تشابهه مع عبيد في الظروف، فهي تنتمي لعائلة فقيرة، لم تستطع إكمال المرحلة المتوسطة إلا أنها استطاعت أن تتعلم الخياطة وتعمل في محل خياطة في السوق القريب من المحل الذي يعمل فيه عبيد.

اشترى عبيد سيارة مستعملة بسعر زهيد، لزوم ما لا يلزم.

- شرايك يا شهلة بتمشية على البحر بكره؟

- وأهلي؟

- كأنك جاية الشغل ونطلع، وأرجعك مو موعد الطلعة.

- خوش، والشغل أستأذن بالغياب عنهم من اليوم.

- إيوووه صح.

وهكذا سارت الأمور مع عبيد وشهلة حتى جاء اليوم الذي دعاها فيه إلى بيته.

تكررت اللقاءات بين عبيد وشهلة في بيته وخاصة أن والدته لا تستطيع الخروج من غرفتها لمرضها وصعوبة حركتها. وبعد عدة أشهر.

- عبيد، متى سننتزوج؟

- زواااج؟

- إيه زواج يا عبيد. إلى متى واحنا بهذه الحال؟

- شوفي يا شهلة، أنا ما أقدر أتزوج وأنتِ أعرف بحالي.

- بس، أنا يا عبيد.

- أنت عارفة أني ما أقدر على

وتقاطعه شهلة وهي تحاول أن تصرخ، ولكن بصوت مكتوم تقول له:

- أنا حامل.

- حامل يا شهلة؟ شلون؟

- هذا اللي صار.

وبدأ الصراخ بينهما هو يحاول أن ينكر أن يكون هذا الحمل منه. وهي تحاول أن تقنعه أن هذا الجنين هو نتاج علاقته معه وأن الزواج لا بد منه.

- من قال أبي أنا اللي

- أنت شتقول يا عبيد؟ أنا لا أحد مسني غيرك.

- علينا هذا الكلام يا ست الحسن! اللي تطلع مع واحد تطلع مع عشرة.

- حرام عليك يا عبيد، ارحمني.

- أنا ما لي شغل بكل هذا.
- إلا لك كل الشغل وإذا ما تتزوجني والله أفضحك، وأقول على كل شيء واللي يصير يصير.
- يا حبيبي، أنت شفيك معصبة. أنا أحبك، بس ما أقدر أصرف عليك وعلى اللي في بطنك.
- شلون ما تقدر تصرف علينا؟ أنا أشتغل وأساعدك على المصروفات، بس الله يخليك خلنا نتزوج. ترى أمك وأمي وأبوي يموتون فيها لو عرفوا بالسالفة.
- طيب أنا عندي حل.
- حل غير الزواج ما فيه يا عبيد.
- تجهزينه وبعد ذلك أتزوجك.
- ولبش تبيني أجهضه، إذا أنت ناوي تتزوجني؟

- بصراحة ما أقدر أعيش وياك مع هذا الطفل وأنا حاس أنه مو طفلي.

وهكذا تم الاتفاق وذهبت شهلة مع عبيد إلى قابلة في إحدى البلدات المجاورة وطلبا منها الإجهاض. وفعلتها القابلة نظير مبلغ من المال. إلا أن حال شهلة تضاعف من خلال نزف حاد أدى إلا الإغماء فاستدعت القابلة عبيد وشرحت له الوضع. فحملها إلى المستشفى وهو في أشد القلق والخوف.

وهناك تم تنويم شهلة. وتم معاينتها من قبل طبيبة الإسعاف وعمل لها الإسعافات الأولية واستعادت وعيها. وأدخلت العمليات لإيقاف النزف والتي من خلالها تم أخذ عينات من الدم وبعض الأنسجة للمختبر.

- هذا ليس بنزف عادي.

- ماذا تقصد يا دكتور.

- دكتورة، هذا النزف نتيجة حمل والأنسجة هي لبقايا مشيمة.

- توقعت ذلك ولهذا أرسلتها إلى المختبر للمعاينة. وفعلا تم تشخيص الحالة كحالة إجهاض. ودار حديث بين شهلة وبين الطبيبة اعترفت لها بكل ما حدث. وطلبت منها راجية أن لا يكشف أمرها. لكن هذا صعب في ظل القوانين المتبعة. إلا أن الشعور الأنثوي الإنساني تغلب على العقل المتحجر واقترحت عليها أن تساعدنا لكن بعد استشارة المدير.

أخبرت الطبيبة مدير المستشفى بالأمر الذي تعاطف مع حال شهلة فأخبرها أن الوضع صعب أن يتم حله دون إبلاغ الشرطة. ولكنه قال: إن كثيراً من هذه الحالات يتم حلها من قبل الشرطة وديا لو قبل الشاب الزواج بالفتاة.

تم استدعاء عبيد والذي سجل بياناته عند دخول شهلة المستشفى بصفته من أحضرها للإسعاف. وتمت مكاشفته بالأمر.

وحدث ما كان متوقعا، وتم تزويج عبيد من شهلة. وأقيم الزواج بشكل مبسط، فرحت له والدة عبيد كثيراً، والتي لم يمهلهما القدر كي ترى أحفادها فماتت قبل ولادة خليفة.

حال عبيد المادي أصبح أكثر سوءًا وخاصة بعدما منع شهلة من العمل كخياطة كما كانت. وذلك بسبب غيرته وخوفه من خروجها من المنزل وتبضعها في السوق.

حاولت شهلة كثيرًا مع عبيد كي يسمح لها بالعودة إلى العمل، لكنه رفض رفضًا قاطعًا.

وبعد مضي سنتين على الزواج تغير الحال مع عبيد. استمر عبيد في علاقاته مع زبائنه من النساء اللاتي يراودهن ساعة ويراودنه ساعات. فخرج مع هذه وسهر مع تلك. وتعرف على مجموعة من الرجال والنساء لا همّ لهم إلا السهر. حتى وصل به الحال لإدمان شرب الخمر الذي ذهب بعقله وغيرته فسمح بكل ما كان يمنعها منه بما فيها إشراكها في جلساته وسهراته الخاصة.

مرّت على عبيد وشهلة سبع سنوات بعد الزواج، رزقا فيها بثلاثة أولاد. أكبرهم خليفة وعمره ست سنوات وأصغرهم خالد وعمره سنتين.

- بو خليفة، بو خليفة.

- خير! شفيك؟ خليني نايم.
- بسك نوم. خليفة يرتعش ولا يرد عليّ.
- شلون يرتعش؟
- ما أدري، قوم خلينا نوديه المستشفى.
- وفي المستشفى قرر الطبيب تنويم خليفة.
- شفيه يا دكتور؟
- ولدك فيه تشنج ويحتاج تنويم لاستكمال الفحوصات والعلاج.
- وبعد الفحوصات تم تشخيصه على أنه صرع غير معروف السبب ويحتاج لعلاج لفترة طويلة ومتابعة دقيقة. تم إعطاء خليفة علاج الصرع وخرج من المستشفى وهو في حالة مستقرة.
- لم يكثر عبيد بالخبر كثيراً فالأولاد آخر همّه. وبعد عدة أشهر لاحظت شهلة أن حال خليفة بدأ في التراجع والتدهور فهو أصبح

لا يستطيع الكلام بشكل طبيعي وبدأت الإغماءات تتكاثر عليه وتم تنويمه في العناية المركزة لأكثر من مرة.

وبعد مضي سنة مع حال خليفة الذي أصبح معاقًا بشكل تام حركيًا وذهنيًا، لاحظت أن نفس الأعراض بدأت مع أخيه الثاني خليل والبالغ من العمر خمس سنوات وهنا تم التشخيص على أنه مرض عصبي قد يكون وراثيًا. هذا ما أصاب خليفة من قبل وقد يكون هو نفسه ما يعاني منه خليل الآن بحيث لا تظهر العلامات إلا بعد مضي خمس سنوات من العمر وتنتهي بالإعاقة.

إعاقة خليفة و خليل أجهدت شهلة نفسيًا وجسديًا وأرهقت عبيد ماليًا. وبدأ الخوف يتسلل إلى قلب شهلة مع احتمال أن يصاب خالد بنفس المرض بعد سنتين. وهذا احتمال وارد كما أبلغهم الطبيب. كما أنها حامل في الشهر الثالث.

طالبت الطبيب بإسقاط الحمل بسبب خوفها على الجنين لكن الطبيب رفض ذلك لعدم قانونيته. وفي خضم مراجعتها للطبيب في محاولة إسقاط الجنين. التقت بالجازي البالغة الثلاثين من العمر.

- شفيك يا أختي؟
- ما في أمل، خلاص.
- شلون ما في أمل؟
- تعبنا من المحاولات والطبيب قال خلاص ما في أمل أحمل.
- عندك عيال؟
- لا، تزوجت من خمس سنوات، وأنا وزوجي في محاولات عديدة وما نجحنا.
- سافروا للخارج يمكن تشوفون لكم حل.
- أرسلنا التقارير لأمريكا وقالوا نفس الكلام. ونصحونا بالتجربة وجربنا أكثر من مرة وما فلعنا.
- والمشكلة عندك أم عنده؟
- من عنده.

- هذا حال الدنيا. ناس تهلك روحها عشان تنجب عيال وناس
تبتلي فيهم.

- شقصك؟

- ما أقصد شيء بس، أقول شرايك تتبين طفل مثل ما نشوف في
التلفزيون.

- وشلون يتبنون. من الملجأ؟ لالالا، ما أي طفل من الملجأ.

- لا مو من الملجأ. إذا عندك فلوس كل شيء يصير.

- ما فهمت عليك.

- شوفي هذا رقم تليفوني اتصلي بي بعد يومين، ونسولف في
الموضوع بالتفصيل.

افترقنا والأفكار الشيطانية تراود شهلة، إلى أن صارحت بها زوجها
عبيد.

- عبيد، بسك من الشرب! ركز معي. عندي موضوع أريد أفتحك فيه.

- أي موضوع؟ تراني كلش تعبان. خليني أخلص هذا الكأس وأقوم أنا. ما لي خلق أتكلم مع أحد.

- عبيد الموضوع فيه فلوس.

- فلوس؟ ما عندي.

- ومن طلب منك يا منتف فلوس؟ أنا بجيب لك الفلوس.

- إيه، هذا اللي يصحصحني. قولي لي شلون؟ ومن أين؟ لا يكون؟

- يا ليتك تنطم شوي وتسمعي.

- إذا فيها فلوس أنطم ليش ما أنطم؟

- اليوم شفت حرمة بالمستشفى تصيح وحالتها صعبة تبي تحمل وما نجحت.

- إيه وهذا شو لها شغل في موضوعنا، الفلووووس؟

- صبرك عليّ. أنا عرفت أنهم أغنياء وما عندهم أمل يجيبون عيال.
فقلت لها تتبني طفل. وأنا أسولف وياها جاتي هالفكرة.

- أي فكرة؟

- ليش ما أعطيها اللي في بطني؟

- هها ها هههه بدينا في الجنون!

- لا، مو جنون، أنا عندي خطة ممتازة، إذا وافقتني عليها بتجيب
لنا فلوس. منها نسدد ديونا ومنها نصرف على العيال ونجيب لهم
ممرضة تراعيهم واحنا نشوف حالنا.

- إيه نشوف حالنا، تمام. بس شلون؟

- اسمعني، الآن مو عيالنا يصابون بهذا المرض إذا وصل عمرهم
خمس سنوات؟ وقال أنهم احتمال يصيرون معاقين قبل ما يوصلون
عشر سنوات من عمرهم، ويمكن يموتون.

- هذا اللي قاله الطبيب.

- مو بس قاله، هذا خليفة و خليل أصيبوا، و خالد في الطريق. فليش ما أقول لها أني أسجل اللي بيطني بعد ولادته باسمها و اسم زوجها؟

- شلون؟ و نترك ولدنا عندهم!

- مو قلت لك، هو بينصاب مثل إخوانه و يموت، لكن بعد ما نتنعم بالفلوس. ليش ما نستفيد؟ وهم ما راح يعرفون إلا بعد أن يعيش معاهم خمس سنين.

- إيه، فهمت عليك. بس شلون نضبط الخطة؟

- ما يبيلها نروح مدينة ثانية و عند الولادة أدخل على أني زوجة فلان و بعد ما ألد يسجلونه باسمها. شمعرفهم أني شهلة و ليست الجازي.

- شيطانة! بس كم نطلب منهم؟

- خلني أتصل عليها و بعدين أرد عليك.

وهكذا صار، تم الاتصال واتفقتا على اللقاء. وحينها شرحت لها أنها تعاني من كثرة العيال وأهم فقراء ولا يستطيعون تربية الأولاد بشكل جيد وطرحت العرض عليها.

- أنتم في حال ميسورة وتتمنون طفلا ولو تطلقت قد لا تحصلين على زوج مثل زوجك.

- نعم أنا أحب زوجي وهو يحبني ولا أريد الطلاق.

- خلاص إذن الحل تفتحين زوجك بالموضوع ولا أظنه يرفض، فالعيب فيه مو فيك.

وبعد نقاش بينها وبين زوجها قررا أن يقبلا بالعرض. وتم تنفيذ الخطة.

وعند الولادة تم إدخال شهلة المستشفى بمدينة أخرى ودخلت باسم الجازي وأنجبت طفلة جميلة أسماها أبوها الجديد هبة. وتم تسجيلها في المستشفى هبة بنت الجازي والأب عبد الرحمن. بينما أجرت شهلة عملية ربط كي لا تحمل مرة أخرى. فهي لا تريد أطفالا معاقين آخرين.

وعند الخروج استلم عبيد وزوجته شهلة مبلغاً وقدره نصف مليون ريال وغادرا المدينة. بينما استلمت الجازي ابنتها هبة وسافرا إلى مدينة مختلفة لا يعرفهم فيها أحد.

وكعادته أهدر عبيد كثيراً من المال على ملذاته، لكنه لم ينس أن يأتي بمرضة وخادمة لرعاية أطفاله والتمتع بفرصة السفر مع شهلة للخارج من أجل السياحة.

لم يستثمرا المال فتلاشت سريعا وعادا إلى ما كانا عليه. وخلال سنتين أصيب خالد بما أصيب به خليفة الذي توفي قبل سنة و خليل الذي لا زال يعاني من المرض وهنا ومع تقدم الطب توصل الأطباء إلى أن هذا المرض ينتقل بشكل وراثي ويصيب الذكور دون الإناث وينتهي بالذكور إلى الصرع والإعاقة والموت في وقت مبكر. أما الإناث فينجون منه.

وقع الخبر على شهلة كالصاعقة. وهي تصرخ ابنتي. التي لا تعلم ما سيؤول بها الحال.

هكذا فقدت شهلة الأولاد والبنات، فقد أجهضت الأول وأصيب الآخرون بمرض غريب وباعت ابنتها السليمة.

قال الله تعالى: ((وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمُ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)) (151) الانعام.

وقال أيضا: ((وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا)) (31) الإسراء.



ماكسيم العربي: رئيسا لأوكرانيا

الابتعاث والزواج من الخارج وما ينتجه من مضاعفات أسرية
لاختلاف العادات والتقاليد في ظل طموح ابن مبتعث أراد أن يصل
لمبتغاه فهل فعل؟

أحداث ماكسيم وإخوته وأبيه تسرد هنا في قالب حكواتي بسيط.

سافر جمال إلى أوكرانيا للدراسة الجامعية.

ليش أوكرانيا مو غيرها؟ هذا اللي قدر عليه الرجال جمال، فتكاليف
الدراسة الجامعية في الدول الشرقية أقل بكثير من مثيلاتها من الدول
الغربية.

وبدأ في تعلم اللغة الروسية بعدما التحق بجامعة تحضيرية مخصصة لهذا
الغرض. وسكن طبعاً مع عائلة أوكرانية كريمة تتكون من عجوز
وزوجته.

- شفيك تبسس؟ شصاير لك؟ بتنزل أو عندك كورس صيفي؟
- إيه، رحم الله والديك ييه، عندي كورس صيفي، صبح إنك خبير، وتلقطها وهي طيارة.
- أهااااا أجل مو نازل.
- لا يكون ييه ناوي تجي تزورني، أنت والأهل، وتصيفون هنا؟ تراني مزحوم بالدراسة وماني فاضي أمشيكم. "الله يستر".
- أي صيف أي تكشت؟ لا، ما راح نجيك. بس كنت بشوف إن كنت نازل عشان أكلم عمك يحضّر بنته للعرس. لا يكون نسيت أن بنت عمك سلوى مسمية لك من وأنت صغير وخاطبينها لك قبل ما تسافر.
- سلوى!! إيه، بس أنا ناوي أطول بالدراسة، ودراستنا صعبة وتحتاج لتركيز، مو زين لها الزواج.
- "طل بعيونك قال تركيز قال".

- خلك من هالبريرة وإذا ما تمت هذه السنة فبالصيف الجاي. ياللا طولت علي المكاملة. أمك وأخوانك يسلمون عليك. طوووووووووط، وانقطع الخط.

وبدأ جمال يحدث نفسه ويهلوس. قال: سلوى! والله إنها ورطة.

حصل جمال على فرصة تمديد لما هو فيه لمدة سنة إضافية. لكن ماذا سيحدث خلال الصيف القادم؟ هذا ما كان يشغل تفكيره. واصل دراسته الهندسية. وأنجبت نتاليا ابنتها ماكسيم.

- ماكسيم!

- نعم ماكسيم، هذا هو الاسم الذي سأختاره لابني.
- لكنه اسم مستغرب في وطني.

- ليس لي شأن بوطنك.

- ماذا تقولين يا نتاليا؟ ألم نتفق أنك ستصحبيني إلى وطني بعد نهاية الدراسة هنا.

- كانت مجرد فكرة لم نتوصل لقرار نهائي بشأنها، وأرى أني لن أستطيع العيش في وطنك.

هكذا دب الخلاف منذ ولادة ماكسيم. وتعامل نتاليا مع جمال تغير. وأصبحت نتاليا التي تفوقه عمرا تشعر بالسخط جراء زيادة المصاريف التي تنكبدها وراتبها الذي ينتهي قبل نهاية الشهر. ولم يستطع جمال المساهمة في مصروف البيت بأكثر مما كان يساهم به من قبل. لم يكن بيد جمال حيلة فاستمرت الحياة بينهما بين يوم ساخن من الشجار كسخونة صحاري الدهناء في يوم قيظ وأحيانا باردة كصقيع طقس أوكرانيا.

نتاليا تتصرف كما لو أنها لم تتزوج أو لم تنجب طفلا وماكسيم يتزعزع بين كفي جدته وجدده. فنتاليا مشغولة بعملها بينما جمال لازال يدرس.

ظهرت الاختلافات الفكرية والقيمية بين جمال ونتاليا. لم يعد جمال قادرا على اتخاذ قرار سليم سوى الاستمرار بتمثيل دور الزوج المغلوب على أمره.

فالتفت إلى دراسته وأقنع والده بتأجيل زواجه من سلوى حتى عودته على أن تكون لسلوى الفرصة بإنهاء دراستها الجامعية في البلد لصعوبة الحياة في أوكرانيا على أن يعقد قرانه فقط.

وهذا ما تم فعلا وأصبح لجمال زوجتين، نتاليا في الغربية وسلوى المقيمة في البلد.

جمال لا يبالي لما يحدث لابنه ماكسيم، فلم يكن جمال متدينا، حيث أنه يصلي فقط عندما يشعر بالضيق أحيانا وسرعان ما يعود لعادته.

دراسة وتحصيل خلال أيام الأسبوع وسهر في الوبك اند. وهذا ما يريح نتاليا بخصوصه. فقد عاشا حياة عاشقين أكثر مما كانت حياة زوجين.

وحل موسم الإجازة ونزل البلد والتقى بأهله، لم يخبرهم بما حصل بأوكرانيا. ولم يلاحظ عليه أحد أي تغيير. سلوى تدرس في السنة الأولى بكلية الاقتصاد والتدبير المنزلي.

- أصبحت أجمل بكثير مما كنت عليه من قبل يا سلوى.

يا رجل احنا هني بالبلد مو بأوكرانيا. الرجال نسي نفسه.
احمرا خدا سلوى خجلا وأنزلت رأسها للأرض قليلا. ثم استطرد
جمال في غزله لخطيبته بكلمات معسولة جميلة
حتى بادرتة سلوى بحديث مختلف. يستحون البنات.
- شلونك مع الدراسة بأوكرانيا؟

- إيه الدراسة زينة بس ما تصلح للبنات.

- يوا! شلون؟

- حياتهم غير حياتنا واللغة صعبة وايد.

- عيل انت شنو سويت؟

- أنا عانيت في السنة الأولى لكن بعد ما تعلمت اللغة شوي
وبديت بالدراسة الهندسية صارت أحسن.

- الله يوفقك يا ولد عمي.

- شرايك نطلع نتمشى شوي؟

دخل جمال بيت صديقه أحمد. وبعد التحيات والترحيبات، بدأ الصديقان يتحادثان عن أوكرانيا وما فيها. ففتح جمال قلبه لصديقه وأخبره بما حصل له.

- لماذا تورطت يا جمال؟ زواج! وحمل! كنت قد نصحتك بالزواج قبل السفر لكنك رفضت.

- يا أحمد كيف أتزوج وأنا مقبل على سفر وابتعث في مكان غريب.

- والمحصلة هي نفسها فقد تورطت بزواج غريب لا يتفق مع الواقع. ماذا ستفعل مع ابنك وزوجتك هناك؟ وكيف وافقت على قبول عقد القران من سلوى هنا؟ أنت تلعب بالنار يا جمال.

- والحل يا أحمد؟

- الحل الآن أنك لا تتحدث عن الأمر قبل تسوية أمورك في أوكرانيا.

- كيف؟

- انهي دراستك وفي حال عدم موافقة نتاليا بالحيء إلى هنا، خذ الولد منها واحضره معك للبلد يتربى بين أهلِكَ.
- لن تقبل نتاليا هذا الحل.

- المهم لا يعرف أبوك وعمك وسلوى بما حصل وإلا ستخسر كل شيء. لا تكمل مراسيم الزواج من سلوى قبل أن تنهي دراستك وتستقر في البلد.

وهكذا قبل جمال النصيحة وخرج من عند أحمد. قضى جمال أياما سعيدة خلال فترة إجازته بصحبة أهله وسلوى.

سلوى فتاة ذكية جميلة مثقفة استطاعت الاستحواذ على قلب جمال والتأثير على تصرفاته.

حان وقت العودة إلى الغربية وودع سلوى وأهله على أمل اللقاء بهم في الصيف المقبل. عاد جمال إلى أوكرانيا وهو يفكر بكيفية إقناع نتاليا خلال فترة دراسته بكيفية العودة معه إلى بلده.

التقى بنتاليا المتشوقة إليه فتعانقا وأخذ مكسيم في حضنه. لأول مرة يشعر جمال بالأبوة من خلال احتضانه مكسيم. "أين كنت من قبل يا جمال؟"

في خضم الدراسة والحياة اليومية والتغيير المفاجئ لنتاليا في تصرفاتها معه إلى الأحسن. حاول أن يستغل الوضع ويفاتحها بما لديه من خطة لحياتهما المستقبلية لكن شعر بالجنح حول ذلك أو بالرغبة بعدم إفساد حياته السعيدة بأوكرانيا.

يجب جمال حياة اللهو على الرغم من ذكائه وتفوقه الدراسي. وهكذا أصبحت حياة جمال دراسة وتفوق، وحياة زوجية من دون مبالاة ولا مسؤولية حقيقية. فكل متطلبات البيت الضرورية تقوم بها نتاليا.

يقوم جمال بالاتصال بسلوى بين حين وآخر. ومع الاثنتين بدأ جمال مرحلة إشباع الرغبات، رغبة العيش في جو غريب من التقاليد التي تربي عليها، ورغبة الحب الحقيقي لسلوى والواقع الذي سيعيشه مستقبلا.

مرت الأيام وماكسيم يتزعرع حاملا معه تربية مختلفة كلية عما تربى عليه جمال. وهذا لم يلحظه جمال إطلاقا لكنه كان سعيدا بماكسيم وقريبا منه. وحاول منذ البداية تعليمه بعض المفردات العربية.

وبعد ثلاث سنوات تخرج جمال بتفوق، وحن موعد العودة للوطن.
- نتاليا، حان موعد عودتي إلى الوطن، هل ستصحبيني إلى هنا؟

- لا، هكذا وبشكل حاسم ردت نتاليا على سؤال جمال
باصطحابهم إلى وطنه. حاول جمال كثيرا أن يقنعها بأن الحياة هناك أسهل بكثير عما تتصور، لكنها رفضت بحجة عملها ومستقبلها ونمط حياتها المختلف الذي قبله قبل وبعد الزواج.

- ماذا عن ماكسيم؟

- ماذا عنه سيبقى معي وسيترى عندي؟

- بل قولي سيترى عند جده وجدته فأنت مشغولة بعملك ولن تلتفتي لإبني.

- ماكسيم سيبقى في أوكرانيا.

- ماذا تقصدين؟
- نعم سيبقى هنا ويتربى هنا ويتخلق بأخلاقنا ويدين بديننا.
- لكن هذا ليس ما اتفقنا عليه.
- وعلى ماذا اتفقنا؟
- ألم نترك لماكسيم حرية الخيار في اختيار دينه؟
- نعم لكن ليس وهو في عمر 4 سنوات تأخذه مني وتتركه يقرر سيبقى هنا وعندما يصبح شابا دعه يقرر.
- كيف سيقدر حينئذ وأنا بعيد عنه؟
- هذه مشكلتك وليست مشكلتي لكن ماذا عني؟ أراك لا تذكرني البتة.
- طلبت منك أن تصحبيني إلى الوطن.
- لن أصحبك، لكن ماذا عني هنا؟

اتفقا على قضاء فترة للتفكير وإيجاد الحل بعد عودته إلى الوطن.

حاول جمال أن يأخذ ماكسيم معه بكل الطرق الشرعية وغير الشرعية ولم يفلح. وترك جمال ابنه ماكسيم عند أمه ونزل إلى الوطن، وهناك استقبل بفرح وسرور من قبل والديه وأهله وسلوى.

وفي غضون أشهر قليلة من بعد تسلمه وظيفته المرموقة في إحدى الشركات الأجنبية تم زواجه من سلوى.

أنجب منها بعد السنة الأولى بمحمد ثم تخرجت سلوى وأصبحت مهندسة تصميم وديكور لكنها لم تعمل بشهادتها وتفرغت للبيت.

بقي جمال يتصل بين الحين والآخر بنتاليا دون أن تشعر سلوى بأي أمر مريب، بل كان يسافر بشكل متقطع وقصير بحجة العمل ليشاهد ماكسيم. وفي آخر مرة طالبت نتاليا بالطلاق فهي على علاقة مع آخر وتريد الزواج منه. وهذا ما حصل فعلا تم طلاق نتاليا وبقي ماكسيم مع جده وجدته كما كان في السابق.

مضت سنوات، رزقه الله فيها بأطفال آخرين من سلوى فهمي
وهدى. وجمال يحدث ابنه ماكسيم بين الحين والآخر هاتفيا ويزوره
أحيانا بما لا يقل عن مرة بالسنة.

- من الذي كنت تتحدث معه هاتفيا بلغتك الروسية؟ "هكذا
بادرت سلوى زوجها جمال بسؤال مفاجئ.

- هااا. هذا يا بنت عمي صديق قديم من أوكرانيا.

- الظاهر إنك تعزه كثيراً اللي صوتك جدا متأثر وعيونك تدمع.
شفيه لا يكون مريض؟

- لا أبدا لكن روى لي قصة مؤثرة.

- الله يكون بعونك وعونه.

هكذا تخلص جمال من المطب الأول، لكنه بدأ يفكر في أمر إبلاغ
سلوى بالحقيقة لعلها تخفف عليه مصابه أو تجد له الحل.
لكن ماذا لو أخبرها هل ستستمر حياتهما الجميلة الهادئة؟

ظل يفكر ويفكر حتى قرر أن يخبرها. لعل وعسى، معتمدا على
حكمة سلوى المعروفة عنها.

- سلوى يا أم محمد يا حبيبي.

- خير يا بو محمد! أكيد وراك طلب فأنت ما تقول حبيبي إلا إذا
كنت تبي شيء كبير تفضل أمر يا حياتي.

- إي والله شيء كبير وكبير جدا أريدك فيه أن تكوني لي في خير
عون فأنا أعتمد على حبنا وحكمتك وعقلك الراجح.
- إيه يا بو محمد أخيرا قررت تتكلم.

قررت أتكلم عن شنو؟

- ماكسيم! ولدك!

- شتقولين؟

- نعم يا جمال أنا عرفت بموضوع ماكسيم بعد زواجنا بعدة أشهر.
وعرفتها بالصدفة، لكني لم أحب أن أعكر صفو حياتنا وأعلم أنك
قادر على حل مشكلاتك بنفسك.

- هل يعلم أحد من أهلنا بالموضوع؟

- تطمن لا أحد يدري سواي.

- سلوى، أنا آسف الموضوع وكما تعرفين حدث قبل زواجنا وبالعربي أنا تورطت بالغبية وهذا اللي صار.

- يا جمال، أنا لن أناقشك في كيفية حدوثها لكن أريدك أن تعرف أن محمد وأخوانه في غنى عن المشاكل وما أريد يصيبهم مكروه لا في حياتنا ولا بعد مماتنا وعليه تصرف.

بعض الهمّ الجاثم على صدر جمال أزيح لكن بقي الهمّ الأكبر وهو كيفية استرداد ماكسيم وإن نجح في استرداده جسداً هل سيستطيع من استرداده روحاً فقد عاش ماكسيم حياة مختلفة تماماً عن حياة أبيه سواء الثقافية أو الدينية، كيف استطاع جمال أن يتهاون في هذا الأمر؟

بعد المكاشفة أصبح من السهل محادثة ماكسيم بشكل متكرر، بل وبتشجيع من سلوى أيضاً التي اقترحت على جمال أن يسافر إلى

أوكرانيا ويجاوب أن يأتي به فقد أصبح الولد شابا يافعا وقد يقبل العوابة.

فعلا سافر جمال إلى أوكرانيا والتقى بجدة وجد ماكسيم وشرح لهما الأمر لكنهما لم يقبلا أن يتركوا حفيدهما بعد أن ملأ عليهما حياتهما في ظل ابتعاد نتاليا إلى مابنة أخرى مع زوجها الجديد.

- هل أنجبا أطفالا؟

- لا.

رأء جمال في سره الحمد لله، كيف سأأصرف لو كان لماكسيم أخوة من أمه يا إلهي كيف دخلت هذه المتاهة؟

كرر جمال الطلب وقبل أن ترد الجدة باءر ماكسيم في الكلام وقال:

- بعد إءنك جءءي أنا أريد أن أكمل تعليمي الجامعي هنا ومن ثم أريد أن أعمل في الشرق الأوسط مع والءي.

كانت ردة فعل والده مفرحة ومبهجة، فالأول مرة يقترب الحلم ليتحول إلى واقع وبتاريخ محدد فابنه قد يأتي ليعيش معه في بلده بعد عدة سنوات.

اتصل جمال بسلوى ليخبرها بما حدث ففرحت له واقترحت عليه أن يصحب ماكسيم للبلد خلال هذه العطلة الصيفية.

طرح هذا الاقتراح على ماكسيم فوافق لكن على أن تكون في أعياد الميلاد.

جده وجدته ترددا في الموافقة واتصلا بنتاليا لإخبارها والمفاجأة أنها وافقت. يبدو أنها مشغولة مع حياتها الجديدة فلم تكن يوما تشعر بأن لديها من تحمل مسؤوليته وخاصة بعد انتقالها إلى مدينة أخرى. عاد جمال لموطنه بمشاعر لم يحملها من قبل فهو يعيش الحلم الأمل وقريبا قد يتحول إلى واقع معاش. حمل جمال لزوجته سلوى أسمى المشاعر على وقوفها بجانبه ومعاضدته له وتسديده.

الشهور تطوى وأعياد الميلاد اقتربت ووصول ماكسيم إلى البلد اقترب. جمال قد أعد نفسه لمواجهة مع والده وعمه وأهله، حيث

أخبرهم بالأمر ومع عصيبة والده ورفضه لما حصل إلا أن عمه تفهم الوضع لتفهم ابنته نفس المشكلة. البنت طالعة على أبيها. حينئذ تفهم والده الأمر لكن طالبه بالاحتفاظ بماكسيم في حال وصوله وعدم السماح له بالسفر. سلوى بطريقتها الخاصة أفهمت محمد وإخوته بأنهم سيستقبلون لهم أخا غير شقيق عما قريب وروت لهم الحكاية، ومع رفض محمد لما حدث إلا أن فهمي وهدى فرحا بأن يكون لهم أخ آخر.

وفي اليوم الموعد، والد جمال وعمه وسلوى والأولاد في المنزل لاستقبال ماكسيم وهدى وفهمي يتندران ويرمون القفشات بينما محمد صامت جامد ويظهر أنه يفكر في أمر عسير.

جمال في المطار، ماكسيم أصبح شابا يافعا طويل القامة أبيض البشرة وسيم جداً رشيق ولا يحمل من صفات أبيه إلا لون عينيه السوداوين وشعره الأسود.

هكذا رآه والده وكأنه يشاهده لأول مرة عند وصوله لصالة القادمين في المطار. احتضنه جمال طويلا واصطحبه في سيارته.

دخل جمال وماكسيم المنزل وتم الاستقبال وحدث ما لم يكن في الحسبان. الجلد كان سعيداً بحسن (حيث قرر الجلد أن يسمي ماكسيم باسم حسن في ظل دهشة ماكسيم) وحاول الجميع التفاهم مع ماكسيم باللغة العربية التي لا يجيدها، فكل ما يملك ماكسيم بعض المفردات البسيطة التي كان يتحدث بها مع أبيه في صغره، كما أن بقية العائلة لا تعرف اللغة الروسية. وعلى الرغم من صعوبة ذلك إلا أن الجميع كان سعيداً بماكسيم لا سيما هدى وفهمي وبالطبع الأب.

إلا أن سلوى لاحظت على ابنها البكر محمد ذي السنوات الاثني عشر أنه لم يرحب بأخيه ولم يحاول التقرب منه بل شعرت أن هناك نفورا اتجاه أخيه ماكسيم.

- لماذا لم تسلم على أخيك يا محمد؟

- بس.

- بس شنو؟

- أصلاً أنا ما أعرفه وبعيدين شلون صار أخوي؟ ومتى؟ ووين أمه؟
ومتى تزوج أبوي من أمه؟ وليش ما قال لنا من قبل؟

قالت سلوى في سرها: يا إلهي هذا ما كنت أخشاه. فأسئلة محمد كانت تراودها وكانت تعد نفسها للإجابة عليها فطبيعة محمد تتميز بكثرة الأسئلة ورفض ما هو غير مألوف لديه. ولديه نزعة الغيرة والتمرد. حاولت سلوى جاهدة أن تجيب ابنها محمد على اسئلته التي لا تنتهي ويبدو أنها قد فشلت في إقناع عقل متمرد كعقلية محمد فاستمر في طرح الأسئلة وإبداء الرفض بقبول وجود أخيه الجديد.

- هذا الروسي مو أخونا ليش أنتم فرحانين؟ أنا أخوكم الكبير.

- راحت عليك يا محمد خلاص بسك. الآن عندنا أخو كبير، أكبر ويعرف كيف يحمينا منك يا الشري.

هكذا ردت هدى ذات العشر سنوات على أخيها محمد وهي تمه بالهرب منه فهي تعلم ردة فعله جيداً، بينما وافقها أخوها فهمي ذو الست سنوات وهو يلهو ويمرح.

اشتاط محمد غيظا لجواب هدى وبدأ في مطاردتها كما كان يفعل عادة.

ماكسيم شعر بأنه غريب في بيته وعلى الرغم من البرنامج الذي أعد له والده لقضاء فترة جيدة خلال وجوده معه إلا أنه لم يستطع التأقلم بسرعة وخاصة في ظل تأزم موقفه مع محمد.

شعر جمال بما يحدث وناقش سلوى في الأمر وأوضح له ما يدور في رأس محمد وسبب نفوره فهو في عمر يصعب عليه تقبل وجود من يحل محله كابن بكر. كما أنه يشعر بأنك لم تكن صريحًا في حياتك وخاصة أنك لست قريبًا من الأولاد بشكل كاف فقد تركت مسؤولية تربيتهم على كاهلي لوحدي كل هذه السنوات.

- أنت تعرفين يا سلوى ظروفي جيدًا.

- أعرف ذلك لكن هذا ليس مبررًا لما حدث ويحدث في حياتنا. والآن هناك وضع جديد عليك تصحيحه وتقويمه.

حاول الأب جمال جاهدًا أن يتقرب من محمد أكثر وخاصة بعد الأسبوع الأول من قدوم ماكسيم، والتي أشغلتها أكثر عن بقية

الأولاد، فحاول أن يصطحب محمدًا في جولاته مع ماكسيم وإخوته، لكن محمدًا يقبل أحيانًا ويرفض في أحيان أخرى.

فهم ماكسيم مايدور في خلد محمد لكنه لم يحاول التدخل في شؤون أخيه أو حتى التقرب منه. مضت فترة الإجازة التي تقدر بأسبوعين وحن وقت العودة لأوكرانيا.

- يا جمال اترك عنك سالفة الإجازة وأوكرانيا واقضب الولد عندك ولا تخليه يرجع بلاد أمه. يكفيه اللي فيه. خله هنا يتعلم عشان يمكن الله يهديه ويتعلم اللي فاته.

- بس يا بوي ماكسيم ضروري يرجع عشان دراسته الجامعية، فهو في سنة أولى والدراسة له هناك ضرورة.

- بل يتعلم دينه هنا أهم من دراسته.

لم يرد جمال على أبيه واستأذنه وذهب إلى غرفة ماكسيم حيث سلوى تعد حقيبة ملابس ماكسيم وتعطيه بعض الصور له ولإخوته التي التقطوها في جولاتهم كما أعدت له هدايا خاصة له ولجدته.

اصطحب جمال ابنه ماكسيم إلى المطار وفي الطريق سأله:

- كيف وجدت الحياة معنا يا ماكسيم؟

- حياتكم جميلة وبسيطة وكنت سعيدا بين إخوتي فالأول مرة أشعر بهذا الشعور وخاصة محبة جدي وسلوى، فقد أدهشتني بمعاملتها لي وإن واجهت صعوبة مع محمد. لا تقلق بشأن محمد سيزول شعوره هذا مع الوقت لكني أحدثك عن الحياة بشكل عام هنا.

- أهأا فهمت قصدك يا والدي، صراحة يا والدي لا أعرف بالضبط. لكن سأترك الموضوع كما وعدتك بالسابق بعد الجامعة فأنا أريد العمل معك هنا إلا أن الأيام ستكون هي الفيصل.

- ظننك ستقول إن أهلك هم الفيصل وليست الأيام فهنا أبوك وإخوتك.

- وهناك جدي وجدتي ووالدي.

هكذا استمر النقاش الذي لم يؤدي إلى قرار حاسم وودع جمال ابنه ماكسيم في المطار واختفى ماكسيم مجدداً.

هناك وفي أوكرانيا وجد أن والدته في انتظاره في المطار وبشكل مفاجئ.

انهدش ماكسيم لاستقبال أمه له بالمطار وهي التي تسكن في مدينة أخرى، لا بد أن هناك أمرًا ما.

- أهلا يا أمي!

- مرحبا بك يا ماكسيم. كنت في انتظارك بشوق، فقد خفت ألا تعود!

- لماذا لا أعود؟

- قيل لي أن أباك قد يمنعك من ذلك!

- يبدو أنك تحملين صورة غير حقيقية عن والدي وعائلته. توقف ماكسيم لحظات لعل والدته تسأله عما حدث له هناك إلا أنها تجاهلت الأمر فاستطرد في السؤال.

- كيف حال جدي وجدتي؟

- جدك توفاه الله أما جدتك فهي متعبة وسأصحبك لمدينتي فقد نقلت جميع حاجياتنا إلى هناك.

- لماذا لم تخبروني بذلك؟ متى حدث؟

هكذا فقد ماكسيم أحد أعوانه في حياته.

هكذا عاشت جدته من جديد مع والدته وانتقل ماكسيم للدراسة الجامعية في مدينة أخرى.

واصل ماكسيم التواصل مع والده عبر وسائل الاتصال المختلفة وتوطدت علاقته مع أبيه أكثر وحاول التواصل مع إخوته وإن واجهته صعوبة اللغة التي حاول أن يذللها، فالتحق بمعهد تعليم اللغة العربية ليسهل عليه التواصل مع إخوته وهذه خطوة لها دلالاتها عند والدته التي أوجست من هذه الخطوة خيفة، لكنها لم تستطع من مساءلته في الأمر.

مضت على دراسته ثلاث سنوات وهو في اتصال متقطع مع والده ووالدته وجدته التي زادت متاعبها الصحية.

حياة ماكسيم لا تختلف عن غيره من الشباب فيومه الدراسي جاد ومجهد أما عطلة نهاية الأسبوع يقضيها مع أصدقائه وخاصة سيلفينا صديقتة الخاصة.

أما العائلة في الوطن فيبدو أن هدى وفهمي اشتاقا لأخيهم وهكذا يبدو حال جمال بل حتى محمد بدأ يسأل عن أخيه ولو بتردد وباقتضاب.

- في عطلة الصيف هذه السنة سنزور أخاكم إن لم تمنع والدتكم فاقنعوها بذلك؟

- لن ترفض والدي ذلك فهي تحب ماكسيم أكثر مني. هكذا أجاب محمد! فرد جمال بقوله:

- بل تحبكم جميعا وأنتم الأعز عندها لكنها مضيافة وكريمة. أحبت أن تكرم أخاكم لأنه جزءاً منا كعائلة.

- هل سيأتي للعيش معنا بشكل دائم يا والدي؟ هدى بادرت والدها بهذا السؤال فأجاب:

- هذا ما أرجوه يا هدى لكني لست مطمئنا لأسلوب حياته هناك،
وبعده عنا.

- ماذا تقصد يا والدي؟

- هذا أمر يطول شرحه سنتناوله في وقت لاحق.

- لا بأس يا والدي فهذا وعد منك بجلسة مطولة أخرى.

يبدو أن جمال فهم الإشارة فقد بدأ يمضي وقتنا أطول مع عائلته
وهذا ما لم يكن يحدث قبل مجيء ماكسيم إليهم.

انتهت السنة الدراسية وحل الصيف وقرر جمال زيارة أوكرانيا في
صحبة العائلة، وهكذا تم إبلاغ ماكسيم الذي رحب بالزيارة.

- هل قبل محمد بالمجيء معكم؟

- نعم فهو من أشد المرحبين بذلك.

- جميل فقد كنت أنتظر مثل هذا اللقاء فأنا أحضر مفاجأة له.
سأرتب لكم جولة سياحية جميلة خلال فترة قضاكم هذه العطلة في
بلدي.

وهكذا تمت الرحلة ووصلت العائلة لأوكرانيا والتقى الابن بعائلته
الأخرى.

- أهلا أبي، أهلا سلوى. مرحبا بكم يا إخوتي. احتضن ماكسيم أباه
وإخوته، ورحبوا به بالطريقة العربية.

- والدي، نسيت أن أعرفك بسيلفينا صديقتي.

- صديقتك! أهلا. ارتبك جمال وردد بالعربية صديقتك!
فاندesh بقية العائلة وصمت الجميع.

نسي جمال أن الحياة في أوكرانيا مختلفة عن حياتهم في بلده.

اصطحب ماكسيم العائلة للفيلا التي تم استئجارها لهذا الغرض.
عليكم بالراحة في هذا اليوم ومع صباح يوم غد سنقوم بجولتنا
السياحية الأولى في هذه المدينة، ثم قال بالعربية:

يا شباب المتعة غدا. هكذا خاطب إخوته ماكسيم، تحدث العربية مع إخوته لأول مرة.

أدهش به الجميع فهم لم يعلموا أنه تعلم اللغة العربية فهو لم يمارسها في تواصله معهم.

- نعم تعلمت العربية لكني لا أجيدها كثيرا.

ودعهم ماكسيم وخذ الجميع للنوم. بادرت سلوى زوجها بهذا السؤال:

- جمال! كيف لنا أن نشرح للعيال معنى صديقة؟

فكر جمال في معنى صديقة، وتذكر الأيام الخوالي لكنه لم يستطع الرد فلعله تذكر أن تربيته أجبرته أن يحول الصداقة في يوم من الأيام إلى زواج متعجل انتهى بولادة ماكسيم ولم ينته بولادة عائلة مستقرة. بدأت رحلة العائلة السياحية بإرشاد ماكسيم وحدث من خلالها تقارب كبير بين ماكسيم ومحمد.

- ما رأيك بحياتنا هنا يا محمد؟

- يبدو لي أن الحياة جميلة وليس فيها التزام كثير.
- ماذا تعني بالالتزام؟
- أقصد أن الحياة العامة مفتوحة ولا يوجد تقييد ديني ولا اجتماعي كما يحدث عندنا هناك.
- وهل هذا أفضل من وجهة نظرك أم أن حياتكم أفضل؟
- لا أعرف بالضبط. لكن أنت عشت معنا فترة قصيرة كما أنني هنا لفترة قصيرة ولا أستطيع الحكم.
- بعد ثلاث سنوات ستتمكن من العيش هنا فترة أطول وستحکم بشكل أفضل. فستكون في الجامعة، وسأبحث لك عن كلية جيدة وتعيش معي.
- صحيح؟
- أرجو أن لا يمانع أي في ذلك، لكنني دعني أقول لك أنني لم أستطع التأقلم جيدا مع حياتكم هناك يا محمد.

- ماذا تعني؟
- محمد، أنت أخي وصديقي أليس كذلك؟
- هاا، نعم صديقك! وأخوك.
- ولهذا أردت أن أقول لك أي قد لا أتمكن العيش هناك معكم حتى بعد تخرجي السنة القادمة.
- لكن والدي سيحزن كثيراً! أقصد كلنا سنحزن.
- في ماذا تثرثران؟ تعالا انظرا هنا. هكذا ارتفع صوت هدى لأخويها.
- فتوقفا عن الحديث واقتربا من بقية العائلة وأكملا يومهما الجميل.
فتحت دردشة ماكسيم مع أخيه محمد آفاقا جديدة لدى محمد وبدأ
يفكر في المستقبل وحياة ماكسيم الأوكرانية، وهل يناسبه ذلك أم
لا.

أما جمال فحاول أن يشرح لابنه ماكسيم مشكلة وجود صديقه معهم في الرحلة فطلب منه أن يتعد عنها مؤقتاً حتى تنتهي فترة بقائهم هنا فوافق ماكسيم على مضمض.

في الفيلا لاحظ ماكسيم أن الجميع يؤدي الصلاة ويقوم بالعبادات، وهذا ما كان يلحظه على أهله في زيارته لهم. فبدأ يتساءل مع نفسه عن أهمية هذه الأفعال، فتردد في السؤال حتى قرر ذات يوم أن يسأل صديقه الجديد محمد.

- لماذا تصلون؟

- وهل أنت لا تصلي يا ماكسيم؟

- بلى لكن صلاتي مختلفة عنكم.

- كيف؟

شعر ماكسيم أنه قد سأل الشخص الخطأ، وتذكر أن الجميع هناك لم يحاولوا أن يسألوه يوماً ما عن كيفية عبادته فقرر أن يتوقف عن إكمال الحوار.

هدى وفهمي في غاية السعادة وتحققت أهداف زيارتهم ألا وهي التسلية والمرح ومشاهدة الحديد والقرب من ماكسيم. أما سلوى فقد كانت شاردة التفكير على الرغم من تظاهرها بالمتعة. بقي جمال في حال غير مستقر وكثير السرحان.

- جمال أشعر أنك غير مرتاح. أليس كذلك؟

- بل مرتاح من أجلكم يا سلوى لكنني قلق بشأن ماكسيم.

- ماذا عن ماكسيم؟

- أظنه يخطو خطوات البعد عنا أكثر.

- كيف وهو أقرب لنا الآن من أي وقت مضى.

- بل حياته أصبحت أكثر تعقيدا من ذي قبل ولا أظنه سيقبل أن يعيش معنا هناك.

- كل هذا بسبب صديقتته وأسلوب حياته؟

- ليس هذا فحسب لكنه متشرب ثقافة خاصة بل ودين مختلف.

- هذا ما كنت أنوي التحدث معك فيه، لكن..
- لكني لا أستطيع التحدث فيه.
- ولماذا يا جمال؟
- قد أخسر ابني إلى الأبد ولا أريد ذلك، أريد أن أبقى على اتصال ولو من خلال خيط رفيع.
- لكنه قد يخسر حياته في الدنيا والآخرة.
- أبي. أبي. أريد أن أتحدث معك في أمر ما.
- تعال يا محمد، ماذا عندك؟
- لماذا صلاة ماكسيم مختلفة عنا؟
- تملك جمال وسلوى الدهشة من سؤال محمد.
- كيف عرفت أن صلاته مختلفة؟

اعتمادا على الخلفية الدينية والتربية السليمة التي حملتها سلوى لأبنائها لم تجزع من سؤال محمد فأجابته إجابة راشد لراشد وأوضحت له بعض الأسباب في اعتناق أخيه المسيحية نظرا لنشأة أخيه مع أهله في أوكرانيا.

- لكن لماذا لم نحاول تغيير معتقده؟

- يا محمد أنت تقول معتقد ومن الصعب تغيير المعتقدات ما لم يكن التغيير نابعا من النفس ذاتها.

- لكن علينا يا أمي أن نطلعه على ما يتميز به ديننا السمح كما علمتنيه منذ الصغر.

هنا تدخل جمال وقالك:

- اعلم يا بني يا محمد أن الحياة دروس وعبر، وهذه إحدى نتائج أخطائي في مرحلة الشباب. لا أقصد الخطيئة بل الخطأ في عدم التمهل في خطواتي وقراري. لكني لم أندم على وجود ماكسيم في حياتي فهو ابني مثلك تماما، وأرجو أن أعيش اللحظة التي يكون فيها ماكسيم كما نحب وبقرار منه شخصيا.

نشأت صداقة قوية بين ماكسيم وإخوته لا سيما محمد. وحن وقت الوداع فقد انتهت الإجازة والجميع يستعد للعودة.

- أي، في نهاية السنة سأنتهي دراستي الجامعية وسآتي لزيارتكم.

- زيارتنا؟ ألم تعدني بالاستقرار هناك والبحث لك عن عمل.

- لا أظن يا أي قادر على العيش هناك.

حلت إجابة ماكسيم على جمال كالصاعقة وتغيرت قسمات وجهه، ولاحظت سلوى تأثير الخبر على جمال كما لاحظته محمد. وفجأة قال محمد:

- ماكسيم ألا تحب أن تعيش مع إخوتك؟

- أتمنى ذلك يا محمد لكني قد جربت حياتكم هناك وهي لا تناسبني.

- في زيارتك القادمة ستجد أن حياتنا أفضل سأنتظرك يا أخي هناك فأنا محتاج لك جدًا.

- سأزوركم ولا تنس أن تنهي دراستك بجد واجتهاد فمقعدك الدراسي محجوز لك في أوكرانيا.

حاول الجميع رسم ابتسامة لم يستطع جمال أن يبديها. وودعت العائلة ماكسيم على أمل لقائه وبقائه في البلد.

هكذا بدت حياة جمال تصبح أكثر صعوبة وهو محمل بالتفكير حول مصير ماكسيم. وبدأ يتساءل مع نفسه حول مصير نزوة عابرة في بداية مشوار حياته، إذ أنتجت له ماكسيم بكل ما يحمل هذا الابن من اختلاف عنه وعن عاداته وتقاليده.

بل أصبح الأمر أصعب في ظل وجود أخوة لماكسيم يختلفون عنه في الطباع لكنهم يحملون ذات الدم ويشعرون بأواصر أخوة حقيقية.

هل سيقبل جمال أن يبتعث ابنه محمد عند أخيه لإكمال دراسته هناك؟

هل تستطيع أواصر الأخوة أن تقرب بينهم؟ أم تكون الثقافة أقوى تأثيراً في ابتعاد الأخ عن أخيه؟

أقبل ماكسيم على الحياة العملية بروح الواثب إليها وتسلق المنصب تلو الآخر في شركة والد صديقه سيلفينا. وفي غضون سنوات قليلة أصبح للمهندس ماكسيم شأنًا كبيرًا في الشركة التي يعمل بها، لكن هذا لم يمنعه من التواصل مع والده وإخوته وخاصة محمد الذي قرر أن يلتحق بأخيه لاستكمال دراسته الجامعية هناك.

لكن جمال له رأي آخر في ذهاب محمد إلى أخيه ماكسيم:

- أرى أن الطب في أمريكا أفضل فالتحق بإحدى جامعاتها يا محمد.

- لكني لا أريد الدراسة بالخارج من أجل الخارج يا أبي.

- ماذا تقصد؟

- أريد أن ألتحق بأخي وأكمل دراستي.

- هذا أمر غير ممكن، في الحين الذي أريد من أخيك أن يلتحق بنا

تأتي لتقول لي أنت ذاهب إليه، إني سأفقدك أنت أيضا.

- ومن قال يا أبي أنك ستفقدني بل أنا مثلك أريد استعادة أخي.

- هذا ليس من شأنك. عليك أن تركز جهدك في التحصيل ودع عنك مسألة ماكسيم فأنا كفيلاً به.

- أبي أرجوك دعني ألتحق بأخي ولن أخذلك.

- يا محمد.

- أمي.

هنا استنجد محمد بوالدته لعلها تخن قلب أبيه عليه وتقنعه بالوقوف معه في مطلبه، لكن سلوى طلبت من محمد أن يذهب خارجاً وستناقش الأمر مع أبيه في وقت آخر.

ينضم ماكسيم إلى أحد الأحزاب ويدخل غمار السياسة بفضل دعم والد صديقتة سيلفينا التي قرر الزواج بها بعدما بان عليها علامات الحمل.

في اليوم التالي، يصل نبأ وفاة والد جمال الذي ما انفك ينادي بحفيده باسم حسن وليس ماكسيم وقد ترك الدنيا وهو حزين على ما آل إليه حال ابنه جمال وحفيده حسن.

قرر محمد أن يخبر أخاه ماكسيم بما حصل لكن جمال منعه فهو لا يريد أن يُصدم، سواء برفض ماكسيم الحجىء أو بمجيئه وبما سيحصل في البلد من إثارة حول ماكسيم وحاله.

وخلال أيام معدودة. يتصل ماكسيم بوالده.

- آلوو.

- أهلا ابني. كيف حالك؟

- أنا بخير. كيف حال محمد وإخوتي وماما سلوى؟

- كلهم بخير ويسألون عنك.

- سلامي إليهم جميعا وأنتظر زيارتكم لي بعد شهر من الآن.

- ولماذا لا تزورنا أنت يا، أراد أن يطلق عليه اسم حسن، كما كان يسميه جده لكنها لم تخرج فتلعثم.

- لا أستطيع زيارتكم فأنا مشغول جدا للتحضير ليوم زفافي من سيلفينا وكنت متصلا لدعوتكم للحضور.

شعر جمال بدوران ودوخة وقال:

- زفافك ونحن في أيام حزن!

- أي حزن يا أبي؟

- جدك توفاه الله قبل عدة أيام فكيف لك أن تتزوج الآن؟ ومن؟
وكيف؟ ولماذا؟

انها جمال بالأسئلة، لا مستنكرا الموعد في الحقيقة، لكنه مستنكرا
الزواج من أساسه فهو لازال يعيش على أمل أن يأتي ماكسيم
للاستقرار معه في البلد. رد ماكسيم جاء باردا وهو يقول:

- أبي إن الموعد المحدد من الصعب تغييره فارتباطاتي العملية والحزبية
من الصعب تغييرها وأرجو أن لا تحرمني من حضورك أنت وإخوتي.

وقبل أن يرد جمال كان ماكسيم قد حدد له يوم الزفاف وودعه على
أمل لقائه.

لاحظت سلوى الارتباك على جمال فسألته عما حدث فرد بقوله:

- وتريدين لي أن أفجع بمحمد كما فجعت بماكسيم؟
- ماذا تقصد يا جمال؟
- لن أوافق لخدم بالدراسة في الخارج لا في أوكرانيا ولا في أي بلد آخر.
- دعنا من محمد وقل لي ماذا حدث؟
- ماكسيم سيتزوج.
- ماذا؟
- يبدو أن سلوى أيضا لم تتوقع هذا الأمر فقد كان حلمهم أن يعود ماكسيم إليهم.
- بعد الحدث الجديد استطاعت سلوى إقناع زوجها جمال بحضور زفاف ابنه ماكسيم مهما كانت الظروف، على أن يصحبه محمد في هذه الزيارة بهدف استكشاف وضع أخيه أكثر وفي ظنها أنه لن يقبل أن يدرس هناك بعدما يرى ما حلّ بأخيه.

سافر جمال مع محمد الذي سعد بالزيارة لكنه تفاجأ واستغرب زواج أخيه الذي تم حسب الطقوس المسيحية في ظل حمل زوجة أخيه قبل الزفاف.

وبعدما انتهى حفل الزفاف ومع عودة جمال ومحمد إلى المنزل تحدثا حول الأمر بصراحة وهنا تتم المكاشفة بين جمال وابنه محمد حول خطئه في السابق والذي نتج عنه ما يحدث لماكسيم حاليا.

- أبي إني أكبر فيك هذا الموقف فقد كنت منتظرا أن تقوله لي بنفسك بعدما عرفته من واقع الحياة.

- إن حياة الشاب المغترب المنتقل لحضارة وبيئة مختلفة صعبة جدا وقد لا يستطيع التغلب عليها وهذا ما حدث لي ولا أريده الأمر أن يتكرر.

- هناك فرق بيني وبينك والدي العزيز ولن أقع فيما وقعت فيه إن شاء الله ليس لأني أفضل منك أبي، حاشا لله أن أظن ذلك. لكن لأني لن أكون بمفردي كما كنت في غربتك أنت ووالدي ستكونان بجاني دوما كما أريد أن أكون بجانب أخي.

- وماذا ستجني من صحبتك لأخيك؟
- أتمنى أن أستعيده بقربي منه وهذا يتطلب عونك يا أبي.
- لن أسألك كيف؟ لكن هذا صعب جدا.
- لكنه ليس مستحيلا يا والدي فقط رجاء دعني أدرس هنا.
- سافر ماكسيم لقضاء أسبوع عسل لا أكثر فعمله وارتباطاته السياسية لا تحمل الغياب أكثر، وخاصة أن أوكرانيا كانت مقبلة على تغييرات سياسية غير مسبوقه.
- وعاد جمال وابنه محمد إلى البلد وقد حصل محمد على موافقة أبيه المبدئية على أن تتم نهائيا بعد موافقة أمه سلوى.
- كيف حدث ذلك يا جمال؟
- أردناه يعرف وضع ماكسيم المتأرجح والصعب فأصرّ على قراره السابق.
- لكني لن أتخلى عن ابني.

- ابنك رجل بمعنى الكلمة فقد أحسنت تربيته يا سلوى. هو يريد الدراسة هناك من أجلنا جميعا فلنساعده على ذلك.

- اشرح لي أكثر يا جمال؟

- أعلم أنني بموافقتي له أشعر بالأناية فأنا أريد استعادة ابني الأول.

- وهل سيتم ذلك على حساب ابني أنا يا جمال؟

- سلوى، اذكري الله. وهل محمد ليس ابني؟ لكني شهدت فيه قوة وعزيمة وفكرا لم أشهده فيمن في سنه. وماكسيم كما هو ابني فهو أخوه وإن لم يكن ابنك يا سلوى.

تغير لون سلوى وشعرت بالمرارة ليس بسبب قرار محمد بل لقول جمال الأخير، فلم يكن ماكسيم لها إلا ابنا لم تلده. وظلت صامته حزينة.

شعر جمال بما حدث وعرف أنه قد أخطأ، لكنه كابر وخرج من المنزل غير مكمل للحوار.

دخل محمد على أمه وقبل رأسها ويدها فضمته إلى صدرها وهي تحاول أن تخفي شعورها.

- هل وافقت يا أمي على سفري؟

- نعم يا نور عيني. والله الحافظ.

شعر محمد بالسعادة وإن بدت عليه ملامح القلق من وضع والدته. فشرع يتساءل عما حدث لكن سلوى أخذته في آلية السفر ودوره هناك.

ماكسيم عاد إلى العمل ومع مرور الأيام استطاع بدعم والد زوجته أن يصل لمنصب جيد في حزبه المعادي للشيوعية والساعي من أجل التغيير.

هياً ماكسيم الظروف كلها لقبول أخيه محمد في كلية الطب في جامعة البلد الذي يعيش فيه ماكسيم وأنهى جميع الأوراق اللازمة وبعدها كان في استقبال أخيه محمد في المطار.

- مرحبا يا محمد، سعيد بقدومك وقرارك بالعيش معنا. سيلفينا سعيدة أيضا بذلك لكنها لم تستطع الحضور إلى المطار بسبب رعايتها للطفل الصغير.

- أشكر لكما اهتمامكما وأتمنى أن أرى ابن أخي في أسرع وقت.

- سنتجه إلى القصر حالاً. طبعاً أنت ستسكن في أحد أجنحته.

- وماذا عن السكن الجامعي؟

- وهل من المعقول ذلك يا محمد؟

ابتسم محمد وهو يقول في نفسه ومن قال إني أتمنى أن أسكن هناك فلم أرجو غير أن أكون معك أطول فترة ممكنة.

وبدأت رحلة الدراسة الجامعية مع اللغة. بدأ محمد يدرس اللغة ويستوعبها بشكل سريع بفضل تعايشه اليومي مع أخيه وزوجة أخيه.

ظلت سلوى تتصل بابنها يوميًا للاطمئنان عليه وهو يفعل المثل فيما كان جمال يتصل بين وقت وآخر بمحمد وبماكسيم ليوصيه على أخيه.

بدأت مشاركات ماكسيم السياسية تتكاثر وتزداد وأصبح جدوله العملي مزدحمًا بين الشركة وبين الحزب حتى دخل الحزب في صراع لعبة الديمقراطية المستحدثة في أوكرانيا والتي لم تكن ممارسة من قبل.

نشاط الحزب ومطالبه الديمقراطية أوجدت له خصوصًا كثيرة، كما أوجدت له قاعدة جماهيرية بفضل أطروحات الحزب الشبابية بقيادة شابة تتمثل في جيل من الشباب السياسي ومنهم ماكسيم.

محمد يتقدم في الدراسة ويبدأ رحلة التحصيل العلمي الفعلي.

التزام محمد بتعاليم دينه وأخلاقياته العالية أعجبت سيلفينا وبدأت تسأله عن عدة أمور ومنها التمارين التي يؤديها ثلاث مرات في اليوم.

- ماذا تفعل يا محمد؟

- أصلي لله.
- أليست الصلاة دعاءً وفي أي وقت كما نفعل نحن؟
- هي كذلك لكن نزيد عليها هذا الأمر في أوقات محددة وبأقوال وأفعال مقررة.
- هل لك أن تشرح لي أكثر عن دينك؟
- وبدأ محمد مرحلة التوضيح والشرح لسيلفينا في حضور أخيه أحيانا وفي غيابه أكثر الوقت نظرا لارتباطاته.
- هل دينكم يمنع عليك اتخاذ صديقة؟
- من غير رابط شرعي، نعم يمنع ذلك. كما أني غير مضطر لذلك.
- ماذا تعني؟ هل لا توجد لديك الرغبة في النساء؟
- لا أعني هذا، لكن لدي من التهذيب النفسي والتعاليم التي تساعدني على تحطّي هذا الأمر.

ازداد تعلق سيلفينا بما يقول ويفعل محمد وباتت أقرب له من ماكسيم في مشاعرها الروحية وبدأت تستشيريه في كثير من أمور حياتها الخاصة والعامة.

استطاعت الحركة الشبابية وإن نالها ما نالها من صعوبات ودم أحيانا أن تنتزع الحقوق الديمقراطية بمساعدة غربية وبات الدخول في لعبة الانتخابات قريبة جدًا.

في هذه الأثناء كان محمد يحضر مع أخيه ماكسيم بعض الحملات والخطب الانتخابية ويعجب بالديموقراطية الوليدة الناشئة وهو يسائل نفسه عن اليوم الذي يمكن له فيه أن يشارك في أمر كهذا في بلده.

ظهر محمد بجانب أخيه سبب لماكسيم بعض المتاعب السياسية من حيث أنه اتهم من قبل الخصوم بأن أصوله عربية مسلمة وأن ارتباطه بأخيه وحضوره بجانبه دليل على ارتباطه بدولة إسلامية.

استغل ماكسيم هذا الأمر لصالحه وأظهر الوجه الديمقراطي للحركة ومدى التعاون مع الجميع والدول الغربية والإسلامية للوصول بأوكرانيا لأفضل حال بدلا عن التقوقع الشيوعي المعروف.

- اليوم سيكون مصيريا يا محمد وسألقي خطابي الأخير من أجل الظفر بأصوات الناخبين كي أنال أول عضوية برلمانية.

- أريد أن أصحبك في جولتك هذه.

- لا بأس يا محمد لكن لا أريد منك الرد على الصحفيين أو تساؤلات الناخبين فقد ينتخبوك بدلا عني.

وأطلق فقهة عالية وهو بهم بالخروج وتبسم محمد.

وصل ماكسيم مصطحبا أخيه وزوجته وطفله للمقر الانتخابي وكانت هناك عدة فقرات انتخابية قد قدمت حتى حان الوقت لعود ماكسيم على المنصة لإلقاء كلمته وكانت سيلفينا والطفل ومحمد خلفه.

وبدأ ماكسيم في إلقاء الخطاب وكما عرف عنه الفصاحة وقدرته العالية على جذب وشد انتباه المستمع فذكر برنامجه العملي وسطر وعوده الانتخابية مدعوماً بإنجازاته العملية في الشركة والحزب.

فجأة بدأ إطلاق النار على المنصة من قبل جهة غير معلومة وكثر الصراخ وعمت الفوضى.

انتهى الموقف بعد أن سيطرت القوات الأمنية على المكان.

نشرات الأخبار الغربية تبث الخبر وتعلن عن عدة قتلى وجرحى ومن بين القتلى ماكسيم.

يتصل جمال بابنه محمد وسيلفينا لكن لا أحد يرد. حاول الاتصال ببعض معارفه هناك لكن لم يفلح. اتصل بالجامعة التي يدرس فيها ابنه فقيل له أن الحدث قريب ولم يتسنَّ لهم معرفة تفاصيل أكثر.

قرر جمال السفر إلى أوكرانيا فوراً وظهر على ملامحه الحزن.

- أبا محمد، لماذا السفر فجأة؟ ما الخطب؟ هل هناك مكروه أصاب
أبناءنا؟

- مات ماكسيم يا سلوى، قتلوه.

- وماذا عن محمد؟

- لا أعلم. لا أعلم.

انهارت سلوى وطالبتة أن تسافر معه وهكذا تم بعد يومين بسبب
حجوزات الطيران.

وصل جمال مصطحبا زوجته التي هدأت نفسها قليلا، بعدما علما
بأن محمدا مصاب ويرقد في العناية المركزة، بينما لم يحدث لسيلفينا
وجمال الصغير أي مكروه.

لكن عندما وصلت سلوى إلى المستشفى واكتشفت أن محمد يغط
في غيبوبة شديدة وقد لا يفيق منها، لم تستطع الصبر فانتحبت على
ابنها كثيرا.

بعد يومين كان قرار العائلة والحزب أن يقيموا مراسم الدفن بشكل رسمي، هنا أصيب جمال بوعكة وضيق في التنفس استطاع أن يتجاوزها بمساعدة الأطباء.

- سلامتكَ يا أبا محمد.

- الله يسلمك يا سلوى ويخليك لي ويخلي لنا محمد.

- إن شاء الله يا رب يقوم محمد بالسلامة، وتحسن وترد لنا سالم.

- أنا ضروري أخرج اليوم من المستشفى.

- لازلت مجهدا لماذا الخروج؟

- اليوم يتم دفن ماكسيم. ما أفسى هذه اللحظة علي يا سلوى! أيعقل أن يتم دفنه بمراسم مسيحية.

- هو اختار طريقه.

- بل أنا من سلبه الاختيار، وعندما حاول محمد منحه الفرصة، ذهب بعيدا بلا عودة.

تمت مراسيم الدفن بحضور والده ووالدته وزوجته وعمه وطفله الصغير جمال، أما سلوى فقد بقيت بجانب ابنها محمد. وأسدل الستار على حلم الرئاسة من قبل عربي له علاقة حسنة مع مجتمعه الأساس.

"لم يكن الغرب يسمح بوصول شاب عربي لمنصب سياسي في دولة يسارية". "أحلام العربي ماكسيم تدفن معه". "هل خسر العرب بموت ماكسيم؟".

هكذا كانت عناوين الصحف في تلك الفترة مع تحليلات كثيرة لمعرفة سبب قتل شاب طموح مثل ماكسيم. فمنهم من قال إنه من أصل عربي وله علاقات قد تؤدي بأوكرانيا لأن تكون أقرب للعرب منها لإسرائيل. ومنهم من قال إنه كان ورقة في يد الغرب أحرقتة في الوقت المناسب التي حددته من قبل كما فعلت بكثيرين. ومنهم من قال إنه لا مكان للأغراب للعيش في أوكرانيا، وهو قول يقول به بعض المتطرفين فيها.

بقيت سلوى وسيلفينا وجمال يزورون محمداً كل يوم ويجلسان عنده لفترات طويلة، لكنه لم يفيق من غيبوبته.

وبعد مضي عشرة أيام طالبهم الطبيب في جلسة خاصة، حضرها جمال وسلوى وأصرت سيلفينا على الحضور معهما وطالبت سلوى من زوجها أن يترجم لها فوراً ما يقول.

- قد يكون الأمر سهلاً علي في شرح الأمور فأنا أعلم أنكم كمسلمين يعرف عنكم قوة الإيمان.

- ماذا تقصد يا دكتور؟ هكذا قاطعت سلوى ترجمة زوجها فأعاد جمال السؤال للدكتور.

- محمد لن يعود. فقد حاولنا كل شيء إلا أنه ومنذ يوم أمس دخل في مرحلة الموت السريري.

لم يستطع جمال الترجمة فقد طأطأ رأسه ناحية الأرض وأجهش في البكاء، وهكذا فعلت سيلفينا إلا أن سلوى مسكت بكتفي جمال وبدأت تهرهما وهي تقول:

- ما به محمد؟ لا يمكن أن يحدث، أريد ولدي، أريد ولدي.

- محمد راح يا سلوى. فالطبيب يقول إنه ميت سريريا.

أجهشت سلوى بالبكاء وصرخت كثيرا ضمتها سيلفينا وهما يبكيان
معًا.

- بعد إذنك يا سيد جمال. أريد أن أحدثك في أمر ما.

- تفضل يا دكتور.

- أعلم أنه يصعب عليك هذا لكن من واجبي الطبي أن أقول لك
هذا الأمر ولا أعرف عن معتقداتكم الدينية ومدى قبولك للفكرة.

- تفضل وقل ما تشاء.

- ابنك محمد يمكنه أن ينقذ غيره لو تبرع بأعضائه.

- إلا هذه يا دكتور.

وخرج من غرفة الطبيب متجها لسرير ابنه برفقة سلوى وسيلفينا.

بدأ ينظر إليه نظرات الوداع وهو يمسح الدمع من عينيه ويتمتم
بكلمات غير مسموعة.

في تلك الليلة وفي قصر ماكسيم وسيلفينا والوجوم والحزن مخيم على الجميع.

بدأت سيلفينا تحدثهم عن ماكسيم وماذا كان يعني لها وحبها الجارف له والذي زاد بعد مجيء محمد الذي أشعرها بروحانية خاصة وقربها أكثر لماكسيم. وكانت عاقدة العزم على أن تحدث ماكسيم بشأن الإسلام التي تعرفت عليه من خلال محمد بشكل جيد وإن لم تسلم بعد.

وهنا طلبت الإذن من جمال في التحدث بشأن محمد ومصيره.

- أنكل (uncle) جمال، سمعت قول الطبيب عن تبرع الأعضاء فهل يمنع الإسلام ذلك؟

وقع السؤال كحد السيف على جمال لكنه لم يستطع إلا أن يجيب ويقول:

- الإسلام لا يمنع ذلك لكنه خيار شخصي لأهل المتوفى.

- وهل لو كان محمد بسماحته ومعرفتي به وبأخلاقه كان ليمنتع عن ذلك لو كان يشعر بنا ويجيب علينا.

لم يتمالك جمال نفسه وبكى بكاء شديدا وهو يردد خسرت كل شيء. أنا السبب في فقدان ولديّ وبعد فترة أسبوع توطدت العلاقة بين سلوى وسيلفينا، وقرر جمال وسلوى التبرع بالأعضاء كما وافقت سيلفينا على العودة معهما مصطحبة جمال الصغير لديار أبيه الأصلية.

جمال والأسرة في الطائرة مصطحبا الجثمان وهو يقرأ الصحف وفيها: "ماكسيم لايزال يقدم عطاياه لأهل أوكرانيا، أخوه محمد يتبرع بكليتيه لمريض أوكراني"، "الحزب يشعر بالأسى لفقد ماكسيم، ويفوز في الانتخابات البرلمانية".



الأملة المتصافية

صباح يوم غائم جميل مع نسيمات هواء باردة خفيفة، وقطرات ندى قابعة على زجاج النوافذ لسيارة محمد الذي يستعد للذهاب إلى الجامعة. قالت أم محمد: سق بجذر يا ابني، حفظك الله.

تغلق أم محمد باب المنزل وتسند ظهرها إليه وتأخذ نفسًا عميقًا وتنظر إلى أركان المنزل الغارق في السكون وتدخل في شرود ذهني فتتوالى الذكريات والمواقف.

هنا في هذا المكتب يشعر أبو محمد رحمه الله بالسعادة عندما يتلو القرآن ويقرأ الكتب ويكتب الشعر، لكنه ينسى الشعر وأهله عندما أقدم له كأسًا من الماء أو العصير وأمس كتفه وأقف لحظات ثم أنصرف لعملي.

وهنا كانت ترتب ليلى نفسها وتنظر للمرأة قبل الخروج من المنزل متجهة إلى عملها.

وهنا كان مذياع قديم حطمه محمد بكرته فأصابه بركلة واحدة،
وضاع صديقي القديم الذي زاد من تحصيلي المعرفي.

انقضى أسبوع منذ أن غادرت ليلي إلى بيت زوجها، فهناك ستبدأ
حياة جديدة.

- كم أفتقدك يا ليلي فأنت لست ابنتي وحسب، بل الأخت
والصديقة، بل ومنذ رحيل والدك كنت الأب لأخيك محمد والمؤنس
لي في وحدتي. والآن تغير كل شيء. أشعر أنني أموت متحركة، هل
يعقل أن يموت المرء قبل أوانه، يموت ولا يدفن، لا بد أن أقاوم، أريد
أن أعيش. أنت بعيدة عني جسدا وأخوك بعيد عني روحًا، فهو بين
الدراسة والجلوس أمام شاشة الكمبيوتر ويتفاعل مع هذه الأسماء
الوهمية أكثر مني، بل وينفعل ويضرب الأرض أحيانا ويضحك ويمرح
أحيانا أخرى دون أن يحاول ولو لمرة أن يشركني في همومه ومشاكله.

حاولت الانخراط في العمل الخيري من خلال الجمعيات الخيرية لكنهم
يطلبون مني العمل الميداني وهذا لا تطيقه مفاصلي.

- أمي، لماذا لا تشاركوني محمدًا الكتابة في مواقع الانترنت الحوارية؟
فإني كنت أشجعه دومًا على ذلك، وهناك مواقع محترمة يمكنك أن
تشاركي فيها لما تتمتعين به من ثقافة جيدة.

استحسنت أم محمد الفكرة وقررت الدخول في هذا العالم الافتراضي
لعلها تحظى بعمل يقربها من ابنها ويبعد عنها شبح الجمود والوحدة.
وهكذا كان وهكذا تم. بداية مع اختيار الاسم:

- هل أستخدم اسمي الصريح؟

- لا يمكن يا أماه. فهناك محظورات كثيرة في هذا العالم الافتراضي
واعتبارات اجتماعية وغيرها، لا يمكن أن تحملها لو عرف الجميع
اسمك.

- أرشدني.

- أماه، أنت روح شفاقة طاهرة، وأقترح عليك اسم صفاء الروح.

بدأت أم محمد (صفاء الروح) رحلة الكتابة، حاولت في المنتديات
الدينية فلم تستطع مجازاة كتاب تلك المنتديات المختصين من الطلبة

والعلماء. فحاولت أن تنشر بعض محاولاتها الشعرية المعقولة لكن لم يستقبلها الأعضاء كما كانت تتوقع وشعرت أن المكان لا يستقبل المبتدئين. طالعت بعض ما يكتب في المنتديات الاجتماعية، فوجدت نفسها هناك من حيث إمكانية تقديم خبراتها الحياتية لمرتادي تلك المنتديات ونجحت بالفعل نجاحا باهرا. فأضحى اسم (صفاء الروح) على كل لسان، فهذه تراسلها وتتعرف عليها وذاك يطلب مساعدتها في تقديم حل لمشكلته فكانت ملاذا للجميع.

يبدو أن بعض المشاكل لا يمكن كتابتها على صفحات المنتديات، ولكي تستطيع مساعدة البعض أشارت لهم باستخدام البريد وحينما يصعب الأمر كانت أم محمد تستخدم الاتصال المباشر بالهاتف أو غير المباشر عن طريق المسنجر وهذا لم يقتصر على الفتيات بل وحتى الشبان.

وحدث ما لم يكن بالحسبان فأحدهم استطاع أن يدغدغ مشاعرها الأثوية والتي ظنت أنها شاخت، ببعض الكلمات الأنيقة والتظاهر بالأدب والتدين والسمو فشعرت بشعور مختلف نحوه.

وكانت حين لا يكون هناك ما يمكن النقاش حوله سواء على المسنجر أو الهاتف، ترسل له رسالة تتضمن دعاء أو تهنئة بمناسبة وكان يستجيب لها ببحث ومكر الشباب مع قهقهة ساخرة مكتومة في صدره.

فكانت تكتب عنه ومعه وله، وقلت مشاركاتهما مع الآخرين. ولاحظ البعض هذا وإن لم يصدقوه فبدأ التلميح ففهمت الرسالة وانقطعت أم محمد - (صفاء الروح) - عن الكتابة في المنتديات مما استرعى انتباه بعض الأعضاء فباتوا يتساءلون عنها ويكتبون النداء تلو النداء وهي تقرأ وتطالع لكنها توقفت مع نفسها متسائلة.

هل وصل بي الحال لأصبح أرملة متصايبية؟ يغمزها ويلمزها الجميع! كيف لي أن أعود لصفاء روعي التي افتقدتها بعد تورطي مع هذا الشاب؟ هل غرر بي؟ أم أنا من لم أستطع أن أحافظ على نفسي بعد كل هذه التجربة وهذا السن؟ هل ما حصل ويحصل حلم أم حقيقة؟
أعينوني.



وغابت شهزل عنا

علي مدير محبوب في عمله، يديره بإتقان ولا يغفل الجانب الإنساني في إدارته ولهذا فهو يتفقد أمور مرؤوسيه يوميا ويسأل عنهم.

وفي يوم من الأيام وكعاداته، دخل المدير متسائلا: أين الموظفة شهزل؟ هل تأخرت كعادتها؟

فأجابته إحدى الموظفات: بل هي هنا يا سيدي لكنها متعبة ويبدو عليها علامات المرض. يا لتعاسة شهزل فالمرض لا يفارقها أكثر من أسبوع واحد.

- هل هي مصابة بالأنيميا المنجلية؟

- قد يكون ذلك يا سيدي فلم أسألها من قبل.

- لا بأس أين هي الآن؟

ذهب إليها في المكتب المجاور فوجد وجه إنسان متورم ملون بالبقع
الخضراء والزرقاء والسوداء.

سألها: ما بك يا شهزل؟

أجابته بكلمات غير مفهومة اختلطت مع بكائها الشديد.

- هل من خطب؟ اهدئي وأفهميني ما الذي حصل؟

- زوجي.

- نعم، ما به زوجك؟

- يضربني يوميًا.

- يضربك! لماذا؟

- يعود مخمورًا لا يعي ما يفعل ويضربني ويضرب ابنته. ونحن على

هذا الحال منذ أن تزوجنا ولأكثر من خمسة عشر سنة.

- وهل تحدثت مع أحد من أهلك بهذا الخصوص؟

- لا، لم أفعل. فنحن لا أقارب لنا في هذه المنطقة.
- لا بأس. أريد أن أقدم لك المساعدة، فكيف يمكنني ذلك؟
- شكرا سيدي الرئيس. كل ما أتمناه ألا يتم طردي من هذا العمل على الرغم من كثرة غيابي وتأخري. فهو المصدر الوحيد الذي يعيلني، وأصرف منه على ابنتي الوحيدة. أما ما يحصل عليه من وظيفته العسكرية فيصرفه على الخمر والمخدرات.
- سأفعل ما بوسعي إن شاء الله، لكن يجب أن تضعي حدًا لهذا الأمر فهو يشكل خطرًا عليك وعلى ابنتك ومستقبلكم جميعا.
- نعم سيدي سأتصل بأهلي في بلدنا وسأخبرهم بذلك.
- وأنا سأرفع تقريرًا لشعبة الشؤون الاجتماعية للنظر بما يمكن لهم أن يقدموه من أجلك. أنت اليوم إجازة، ولمدة ثلاثة أيام، أرجو أن نراك بعدها بأفضل حال.
- قدمت شهزل الشكر للمدير وخرجت من المكتب متجهة نحو المنزل.

مرّ أسبوع كامل على غياب شهزل ولم تعد للعمل.

- ماذا حصل؟ أين شهزل يا ليلي؟ ألم تتصل بكم لتخبركم سبب انقطاعها عن العمل؟ أعطيتها ثلاثة أيام فقط لكن هاهي أكملت أسبوعاً كاملاً دون أن نراها أو نسمع منها عن سبب الغياب.

فجأة وصلت لمسامعه صوت خافت يقول: أنا أعرف لماذا غابت عنا سيدي.

التفت إلى مصدر الصوت فرأى صديقة شهزل الحميمة وهي تتحدث بصوت خافت ومبحوح محتنقةً بعبرتها.

- شهزل أدخلت مستشفى ال.....، مقاطعاً.

- هل ضربها زوجها مجدداً؟

- لا، هذه المرة لم يستطع ضربها لأنه مات.

- مات! إنا لله وإنا إليه راجعون، كيف حدث هذا؟ هل تناول جرعة كبيرة من المخدر؟

- سيدي، إن شهزل أدخلت مستشفى الصحة النفسية.
- أحزنا عليه!
- كلا، لكنها لم تحتمل الصدمة.
- أي صدمة؟
- زوجها مات مقتولاً.
- يا إلهي! كيف حدث ذلك؟ أرجو ألا تكون شهزل قد قتت.....
- سيدي، سأروي لك ما حدث كما سمعته. بينما كانت شهزل هنا بمقر العمل في آخر يوم رأيتها فيه. عاد زوجها إلى المنزل باكراً على غير عادته. ودخل غرفة نومه فوجد ابنته في حضن أحد أصدقائه ممن يعربد معهم ويشرب المسكرات. فاشتات غضبا وانمال على صديقه بالضرب وحاول قتله خنقاً. صرخت البنت كثيرا تتوسل لأبيها بترك عشيقها المزعوم، وعدم الماضي في خنقه، لكن والدها لم يستجب. أخذت مسدس والدها المعلق في حزام بنطاله العسكري. هددته بإطلاق النار، لكن وفي ثورة غضبه لم يستمع إليها. أطلقت

رصاصه أصابت رأس والدها فأردته قتيلاً في الحال. أصيبت البنت بحالة هستيرية وظلت تصرخ كثيراً. في هذه الأثناء دخلت شهزل فرأت هذا المنظر البشع. ومنذ ذلك الحين لم تنطق بحرف، لكنها تبتسم حيناً وتبكي في حين آخر.

وانتهى بها المطاف في المستشفى وهي تعيش على هذا الحال منذ ذلك اليوم.

- لا حول ولا قوة إلا بالله.



يوميات الطبيب النسائي في المقبرة

في إحدى الأيام اصطدمت سيارة الطبيب النسائي بسيارة أخرى وهو في طريقه إلى المستشفى صباحاً. تسبب الحادث في بعض الخدوش في وجهه. يستاهل اللي ما يستخدم الحزام. قال أيش؟ يخرب الكشخة.

المهم طبيينا النسائي احتاج لبعض الضمادات البسيطة. قال: يا رجل ليش ما تقول للمرة عشان لا يكون تسمع من أحد وتنزعج، فاتصل عليها وأخبرها بما حصل.

هي كعادتها قالت له: مو قلت لك انتبه وأنت تسوق، دائماً تسرع، على كل حال حمداً لله على السلامة.

الطبيب كعادته، انهمك بالعمل وغير وضعية الجوال على الصامت، متعود. وعند الخروج جاءه العلم بأن والد زميله توفاه الله، فقرر

الجميع الذهاب إلى المقبرة ونسي أن يغير وضعية الجوال. تأخر الرجل في المقبرة.

زوجة الطبيب النساي كبرت المخدة كالعادة. لكن يبدو أن المخدة هذه المرة فقدت حد المرونة ولا يمكن أن تكبر أكثر. تأخر ساعتين، فبدأت تقلق عليه. اتصلت به أكثر من مرة، ماكو جواب. اتصلت بالمستشفى، قالوا لها ما يرد على البيجر. اتصلت بصديقه وهو طبيب أيضا، سألته وين أبو فلان؟ قال بصوت منخفض وحزين: نحن بالمقبرة.

هنا صرخت زوجة النساي وقالت اللي يقولونه الحريم من تولول، ويا لهوووووووي، ولداه كان صغير.

الدكتور تخربط وبحث عن الطبيب النساي وأعطاه الجوال

قال: خذ شوف شنو صار لزوجتك.

كلمها: آلو، شفيك؟

قالت: منو؟

قال لها: أنا زوجك شفيك؟ وليش ما اتصلتِ على جوالي؟

قالت له: هين! أنت بس تعال البيت ويصير خير.

وراح البيت، وعينك ما تشوف إلا النور، يا لطيف من غضبهن!

صحيح إنه احتاج غرزة بدلا من الضماد البسيط الأولاني، لكنه يقول: استانس لأول مرة يشعر أنها مو مكبرة المخدة.



انهمك الرجل بالعمل والحالة الصعبة التي عنده وصحت الزوجة من النوم. تريد تخرج، لكن الباب مقفل. ماكو تليفون بالغرفة، ماكو جوال. شنو العمل؟ عادت للنوم.

وأخونا بالعادة يرجع إلى البيت الساعة 3 مساء، لكن في هذا اليوم العجيب ونظرا للظروف التي تحيط بالأطباء لم يغادر المستشفى إلا الساعة الخامسة مساءً.

وعاد إلى البيت، وأول ما دخل: فلانه شلونك؟ كيف الحال؟ ماكو رد. بحث بالمطبخ وبالصاله، لا أحد.

ذهب إلى غرفة النوم وهم بالدخول شاف الباب مقفل. تنبه للموقف، فتح الباب بسرعة، ودفعه للخلف. وشوية وعينك ما تشوف إلا النور. انمالت عليه ضربا (يعني ضرب نساوين مختلط ببكاء). ثم وقعت من الإعياء والبكاء.

ملحوظة: الحمام خارج غرفة النوم، شفتوا أهميته داخل الغرفة! المهم هي تصرفت.



فاتحة الخالة

سافر صديق الطبيب النسائي لبلد بعيد ولفترة طويلة، وحدث أن توفت خالته وهو في الغربية، فأراد أن يخبر صديقه الطبيب النسائي، فأرسل له مسجًا على الجوال يقول فيه: خالتي توفت، والفاتحة في حسينية كذا وكذا..

أخبر الأصدقاء بذلك.

الطبيب النسائي ما تأخر عن تلبية النداء فأرسل هذا المسج لجميع الأصدقاء: (خالتي توفت والفاتحة في حسينية كذا وكذا، أخبر الأصدقاء بذلك).

وشوي الكل يرّن جوالات عليه، عظم الله أجركم في خالتك. سنجتمع بعد قليل وسنأتي للحسينية. وواحد وراء آخر يتصل ويعزي.

وهو يحك راسه ويقول: شفيعهم هذولي؟ خالة صاحبنا تتوفى، يعزوني أنا، لا يكون خالتي توفت أيضا. خلوني أتصل بأخوي هذا متعهد حسينيات وأسأله.

وراح اتصل.

_ آلووووووو، أخوي.

_ شخبارك؟

_ زين تمام!!

_ وينك فيه؟

_ أنا في الحل.

_ يعني كل شيء تمام.

_ إيوه كل شيء تمام، خير؟

_ لا أبدا بس حبيت أسلم.

راح الحسينية واكتشف السالفة. وريعه يتحقرصون عليه. ونفسهم
يأكلونه بأسناتهم.

النساي نسي ما غير في صيغة المسح، والكل اعتقد أن خالته توفت
مو خالة صديقهم الآخر. وذهبوا على هذا الأساس، الله يرحم
موتاكم وموتى المسلمين والمسلمات
الفاتحة على روحه.



لكن ماذا عن زوجته؟

طبيبتنا النسائي وفي إحدى أيام الشتاء الجليدية بكالغاري في كندا، أراد أن يخرج مع زوجته للتسوق. فاستعد الاثنان ولبسا أثقل الثياب ووصلا إلى مكان الأحذية أكرمكم الله. لبس الاثنان حذائيهما وخرجا لمرباب السيارة. وبدا أن الطبيب النسائي يعرج قليلا، لاحظت زوجته ذلك لكن لم تعر الأمر اهتماما.

عندما وصلا إلى السوق، ترجلا من السيارة. وأول ما نزل ومشى شوي. هذا يطالعه ويبتسم والآخر يضحك. وهو مو عارف ليش؟ وزوجته تسأله: هذولي ليش يضحكون؟

يقول: وأنا شنو دراني؟ كنديين هبلان ما عمرهم شافوا امرأة متحجبه فيضحكون.

قالت له: بس هم يطالعونك ويضحكون مو يطالعوني!

قال: خليههم يولون. احنا نتسوق ونرجع ولا كأن شيء صاير.

كيف أصبح طبيبا؟

طبيبتنا النسائي تم انتدابه لحضور دورة تدريبية في الرياض ولمدة 3 أشهر مع توفير السكن العائلي. ولأنه لأول مرة يزور الرياض فضل أن يذهب الأسبوع الأول بمفرده حتى يتعرف على معالم البلد المجهول. الطبيب وصل للمستشفى عن طريق دليل ثم أوصلوه لمقر سكنه العائلي والذي يتوفر فيه كل وسائل الراحة ومؤثت تأثيثا كاملا بما فيه المطبخ بكامل محتوياته الغذائية وغيرها.

يعني ماكو شراء تموين كله جاهز. ومن وسائل الراحة وجود مواصلات عن طريق الباص حيث يتحرك من السكن كل ساعة ذهابا وإيابا. إذن مسألة الذهاب إلى المستشفى محمولة. مو دعاية محمولة للاتصالات اللي لو كانت موجودة بذاك الزمان حلت مشاكل طبيبتنا النسائي. ما علينا الطبيب قال: ليس لي إلا الذهاب بالباص كم يوم حتى أتعرف على الطريق، وفعلا ركب الباص يوم واثنين، ورصد الأماكن لمعرفة الطريق. الباص يمر على محل بيع

أجهزة كهربائية (ثلاجات ومكيفات وخلافه) اسمه الشتاء والصيف،
وبمقرية منه سكن الموظفات لأخذ بعض الموظفات إلى المستشفى
ومن ثم المستشفى النقطة الأخيرة.

ركب الطبيب النسائي سيارته صباح يوم جديد، فوصل إلى الشتاء
والصيف ثم عرج على سكن الموظفات فاستوقفه رجال الأمن:

- ها يا بو الشباب على وين؟

- أبدا بس أنا أريد أن أذهب إلى المستشفى.

قالوا له: طيب وليش جاي هنا؟

قال: مو الباص يجي هنا كل يوم وأنا.

فقاطعه رجل الأمن وقال: طيب الباص يجي ياخذ موظفات أنت
جاي تاخذ منو؟

قال: مو أنا نسيت ما عملت حذف لهذه الخطوة في معرفة الطريق
للمستشفى!

كل واحد من رجال الأمن مد شفائفه مترين ورفع حواجبه عشرة سنتيمترات ومشوها له. وقالوا له: روح الله يستر عليك.

بعدها صار دليل ومن يشوف الشتاء والصيف يلف يمين ويروح للمستشفى. إلا أن المحل نزع اللوحة، يبدو للتحديث. طارت لوحة الشتاء والصيف. هذالك اليوم ما وصل طبيبنا النسائي إلى المستشفى إلا بعد ما استخدم سيارة أجرة. ثم رجع لركوب الباص وقال لأهله: خلوكم بالبلد أخاف تجون وتضيعون، فهذا أسلم لكم ولي.



ضياعه فن البحرين

ذهب طبيبنا النساي إلى دولة البحرين قبل ما تصير مملكة لأداء اختبار الزمالة هناك. قال يا معود ليش ما آخذ الزوجة معاي منها دعم ومؤازرة، ومنها كشتة بعد نهاية الإكزام.

الهانم استحسنّت الفكرة أقصد فكرة المؤازرة (يعني ما تي تقول عشان الكشتة).

وصلوا البحرين ليلة الاختبار، وراح يبحث عن فندق (شارع، شارعين)، كله كومبليت. طيب، شنو الحل؟

الرجال مخه مقفل ماكو فيه غير اختبارات، قال خلاص نرجع الدمام ونبات هناك.

بينما الزوجة تفتق ذهنها على فكرة. قالت له: يا ولد عمي ليش ما تشوف لنا تاكسي نركب معاه ويوصلنا لفندق.

قال: نجرب حل الزوجة. بالكاد شاف له سيارة تاكسي أوقفه وقال له أريدك تمر بي على بعض الفنادق.

قال له: ما تريد فندق محدد؟

قال له: أنت مر وأنا أقرر.

أخذه من شارع لشارع وأخيرا شاف الفندق كيف عرفه؟ تذكر أن الفندق اللي دخل فيه كان بجانبه مجسم أسد توقف ونزل وسأل الريبشنيست: فلان الفلاني ساكن هنا؟

قالت له: ليش بعد تسأل؟

قال: مو أنا أيضا نسيت رقم الغرفة.

وأخيرا رجع لزوجته وغرفته.

أما شنو كانت حالة زوجته؟

فعليكم تتخيلوا شصار فيها المسكينة؟

وشلون راح للاختبار؟

وكيف أدى اختباره وشنو كانت نتيجته؟

والله يساعد قلبكم.



آه يا بطني

الإسعاف مزدحم، والمرضى تتكدس. الطبيب لا يجد وقتًا لقضاء حاجة، أو لأكل لقمة، أو لأداء الصلاة. فيسرق اللحظة طالبًا زميله المناوب في القسم لتغطيته لبعض الوقت أحيانًا. يخرج مريض ويدخل بعده آخر.

المريض: الحقني يا دكتور.

الطبيب: خير ما هي شكواك؟

وتجيك السالفة، المريض بطنه يؤلمه ويقذف كل ما في جوفه.

- يا دكتور قبل 4 ساعات أكلت ساندويتشات من المطعم
.....، والآن بطني بيتفجر وهات يا ترجيع.

- احتمال عندك نزلة معوية لأي سبب كان. شك في أن المطعم
..... المشهور أنه السبب؟

- لاحول مع الدكاترة. خذ بقية الساندويتشات وفحصوها.
أخذها الطبيب ووضعها جانباً.
- التشخيص المبدئي قيء وإسهال .. نزلة معوية، والسبب تسمم غذائي بسيط.
- لا تقلق كلها يوم بالعادة ويصير كل شيء تمام.
يتم علاج المريض مبدئياً بالسوائل وحقنة ضد القيء ويتم تنويمه.
ومريض آخر وهكذا.
- سلام عليكم. خلاص يا محمد. أنت روح صلي وأنا حغطيك.
- خوش، استلم خلي أروح أصلي وأرجع لك.
يستلم زميله منه.
- يا سلام الساندويتشات جاهزة.

وهات يا أكل ويأكل واحدة اثنتين. يرجع محمد لمكانه ويصعد حمدي فوق.

ساعتين والدكتور حمدي يصرخ آه يا بطني ويبدأ في الترجيع. يتصل بزميله محمد بالإسعاف ويشرح له.

- ها شفيك يا حمدي.

- بطني بتوجعني، مش آدر.

- شفيك توك البخت؟

- معرفش؟

- من متى تعاني من الوجع؟

- مفيش حاجة كلها أقل من دقائق وقبلها كنت أوكي.

- شنو كان عشاك؟

- أنا أكلت من الساندويتشات بتوعك اللي على الطاولة.

موقف جديد مع ابنته

نعود لطبيبنا النسائي العزيز وهذه آخر سؤالي.

يقول: اعتاد يوصل بنته المدرسة يوميًا لأنها رفضت أن تلتحق بالباصات. (شاطرة بصراحة).

وعشان خاطر عيونها صار من اللي يصحى مبكرًا. الرجال استانس على الشغلة. يوم، يومين، ثلاثة. لكن بعد فترة تضايق.

أصبح يجلس مبكرًا ويوصل ابنته ثم يذهب إلى المستشفى. أول من يفتتح الجلسة الصباحية، يصل قبل المرضات. وظل يقول يا الله بكره تجي العطلة وأفتك. وفعلا، البنت خلصت تقييم دراسي لأنها في الفصول الدنيا.

وآخر موعد كان يوم الأربعاء الماضي.

يقول: بس عرفت أني يوم السبت سينتهي عذابي (أيام زمان)، وأنا فرحان ومزغطط. ونام ليلة السبت وهو يضحك ومبسوط على أن بكره سيصحو متأخرًا.

وفعلا، جلس متأخرًا، وشاف نفسه بالمرآة، تهنّدم

وطلع. ركب سيارته وشغل ذيك الموسيقى الهادئة. وبعد دقائق أوقف السيارة. والتفت للمقعد الخلفي. وهو يقول: يا لله يا بنت وصلنا نر.....

ما كمل نزلي إلا ما شاف البنت. وين البنت؟ وين البنت؟

حينها تذكر أن البنت اليوم إجازة. حك بقية شعره اللي وراء أذنه. وقال: أجل أنا شنو جابني المدرسة؟

ويا فرحة ما تمت.

هذي المرة وصل المستشفى متأخرًا، وقفلوا عليه خط الدوام وقيدوه متأخرًا لأول مرة هذه السنة. كل هذا يهون ونقول سبحان اللي ما ينسى.

لكن أن يروح يأخذ بنته من المدرسة الساعة الحادي عشرة ونص
كعادته. وينزل يطلبها من حارس المدرسة. وهي اللي بإجازة بعد ما
صار له الموقف صباحا، هذه ما عمري شفتها.



المحتويات

7	إهداء.....
8	شكر وتقدير.....
9	التعريف بالمجموعة القصصية.....
11	تقديم سماحة الشيخ أحمد بن محمد البراهيم الأحسائي.....
27	لا سكينه يا سكينه.....
35	مبارك يا صبريه.....
42	رضا الله من رضا العبد.....
47	هذا رزقك يا عبيد.....
66	ماكسيم العربي: رئيسا لأوكرانيا.....
127	الأرملة المتصابية.....
132	وغابت شهزل عنا.....
138	يوميات الطيب النساي في المقبرة.....
141	وغلقت الأبواب.....
143	فاتحة الحالة.....
146	لكن ماذا عن زوجته؟.....

- 148 كيف أصبح طبيبا؟
- 151 ضياعه في البحرين
- 155 آه يا بطني
- 159 موقف جديد مع ابنته
- 163 المحتويات
- 165 مؤلفات عادل حسن الحسين



مؤلفات عادل حسن الحسين

- يراع الصادقين: مجموعة قصصية للدكتور صادق العمران، ط2، 2021م، دار بسمة للنشر الإلكتروني.
- مداد العارفين بشيخ المؤرخين: الحاج جواد بن حسين الرمضان، ط1، 2018م، القطيف: أطيف للنشر والتوزيع.
- الطبيب الإنسان صادق العمران، ط1، 2018م، القطيف: أطيف للنشر والتوزيع.
- طبيب الواحة في حوار، ط1، 2018م، القطيف: أطيف للنشر والتوزيع
- التدريب الطبي: تجربة الدكتور صادق العمران، ط1، 2018م، القطيف: أطيف للنشر والتوزيع.
- العلامة الفضلي ومنهجه الرسالي، ط2، 2017م، القطيف: أطيف للنشر والتوزيع.
- صور من عالمها، مجموعة قصصية، 2017م، القطيف: أطيف للنشر والتوزيع.

- لحظة فراغ، مجموعة قصصية، 2015م، الرياض: دار المفردات للنشر والتوزيع.
- همسة حب، مجموعة قصصية 2009م، الرياض: دار المفردات للنشر والتوزيع.
- نهب الرسالة للحج والزيارة، 1999م.
- البسط والإيجاز في تحقيق نسب السادة آل جهماز في الأحساء والبصرة، مخطوط.
- المصاهرة في حياة أهل البيت عليهم السلام، مخطوط.
- لمحة تاريخية عن قرية الدالوة، مخطوط.
- شذرات رومانسية، مخطوط.
- ولاء، ديوان شعر، مخطوط.
- مشاعر، ديوان شعر، مخطوط.
- ترانيم، ديوان شعر، مخطوط.
- لست مزواجًا، رواية، مخطوط.

للتواصل مع الكاتب:

adel.alhussain@gmail.com

